كتاب صورة الأرض لأبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي المتوفى [٣٦٦هـ / ٩٧٧م] دراسة تحليلية في الجغرافيا الإقليمية التاريخية	إعداد/ د. يحيى كدواني أحمد مدرس بقسم الجغرافيا كلية الآداب – جامعة المنيا

لايـزال تـاريخ الفكـر الجغرافي عند المسلمين في حاجة لكي يُكتب وإن تعددت المحاولات للتعرف على مدى الجهود التي بذلها المسلمون في ميدان الجغرافيا وتقديـرها، ويُنكـر فـي هذا الصدد أعمال بعض المستشرقين الغربيين ممن هم في مستوى رينو Reinaud، ودى جويه De Joeje،ونالينو Nallino، وسخاو Sachau ، ولي سترينج Le Strange ، وكريمر Kramers ، ومينورسكي Minorsky .

فقـد أعـان هؤلاء على كشف الجوانب المتعددة مما قدمه المسلمون في سبيل التقدم العام للفكر الجغرافي والمعرفة الجغرافية . ولكن تزايد الشعور الآن بأن الباحثين الذيـن ينـتمون إلى الوسط الثقافي الإسلامي، قد يكونون أقدر على تقدير وتقويم هذه الـثمار الـرائعة . كمـا أنهم في هذا السبيل قد يمكنهم أن يتجنبوا كثيراً من المزالق ويتغلـبوا على شيء من الصعاب الثقافية واللغوية، والدينية والاجتماعية التي تعترض سبيل الباحث الغريب مهما كان مدققاً في عمله متجلوباً في روحه [1].

لهـذا جـاءت هـذه الدراسة للوقوف على دور الجغرافيين المسلمين، وبصفة خاصـة [ابـن حوقـل النصيبي] – في تطور الفكر الجغرافي العربي في العصور الوسـطى، والإسـهام في حل مشكلات الجغرافيا العربية المعاصرة في مجال توحيد المصـطلحات الجغرافية، والبحث عن مدرسة جغرافية عربية [إسلامية] تكون ذات اتجاه واضح أو ملامح خاصة تميزها عن سائر المدارس الجغرافية كالمدرسة الفرنسية والإنجليزية والألمانية والأمريكية .

كمـا جـاءت هذه الدراسة لتوضح حقيقة علمية مهمة وهي أن الجغرافيا علم واسـع الحدود، متعدد المصادر، وربما استطاع الجغرافي الواعي أن يخرج من قراءة كتـب الأدب أو اللغـة مثلاً بحقائق جغرافية قد تعجز كتب الجغرافيا المتخصصة عن جلائهـا وتوضـيحها [2] ، ويعد كتاب صورة الأرض الذي ألّفه [أبو القاسم محمد بن العلي الموصلي المشهور بـ "ابن حوقل"] مثال واضح للمؤلفات الجغرافية العربية التي

تعددت مصادرها، وتحقق من خلاله مجال دراسة الجغرافيا كما هو معروف الآن وهو المكـان بغـض النظر عن حدوده ، وحتماً يشمل هذا المكان دراسات بشرية وطبيعية التي لا يمكن الفصل بينها ، فالظاهرات والمقومات والعناصر البشرية والطبيعية لازمة لكل دراسة جغرافية [٣] .

وقـد جسّد هذا الكتاب الجغرافيا الإقليمية العربية التي كانت أهم اتجاه جغرافي حـتى النصـف الأول مـن القـرن الحادي عشر الميلادي، أي فيما يعرف بالمدرسة الجغرافـية العربية الأولى [الكلاسيكية] [٤] ، أو المدرسة الإقليمية أو أصحاب أطلس الإسلام، وقد عنى جغرافيو هذه المدرسة بأقاليم العالم الإسلامي والأقطار المجاورة له، ويرى ذلك عند كل من الأصطخري والبلخي ومن بعدهم ابن حوقل آخر جغرافي هذه المرحلة .

كمـا يُعـد هذا الكتاب صورة من صور الفكر الجغرافي العربي في العصور الوسـطى الذي أثرى التراث الإنساني بما تميز به من بحث دقيق، وأمانة علمية، وبما احـتوى علـيه من أطلس خرائط لأقاليم الإسلام، كما أنه يمثل مرحلة بارزة في تاريخ الفكـر الجغرافي وتطوره وبخاصة إذ نظرنا إليه في ضوء الأحوال العالمية التي كانت سـائدة فـي الوقت الذي ظهر فيه، فقد كان العالم العربي الوسيط يمثل خلية للدراسات والكشوف والرحلات الجغرافية، ومن المسلّم به الآن في الخارج أن المدرسة الجغرافية العربـية الوسـيطة تخطّت كل آفاق المدرسة الكلاسيكية الإغريقية، وتسجل بذلك قمة الـتطور الجغرافي في أي عصر قبل الفترة الحديثة [٥] ، لهذا وجب على الباحث أيضاً تحليل الإنجازات الجغرافية لجغرافي هذه المدرسة.

ومـما يلاحظ على هذه المدرسة الجغرافية ارتباطها بالمشرف الإسلامي الذي ظهـر فيه عدد من الجغرافيين الإقليميين الأوائل أمثال [أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ت ٣٠٧ هـ أو ٣٢٢ هـ] رائد مدرسة البلدانيين الخرائطيين، والمقدسي [شمس الدين أبو عبد الله محمد بن حمد بن أبي بكر البناء الشامي، المعروف بالبشاري [٣٣٥

هـ / ٣٩٠ هـ] ، والأصطخري [أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري المعروف بالكرخي [ت ٣٢٣ هـ أو ٣٤٠ هـ] ، وابن حوقل آخر جغرافي هذه المدرسة [الكلاسيكية ت ٣٦٦ هـ = ٩٧٧م] [٦] .

واختيار الباحث لكتاب **صورة الأرض** نابع من تميّزه عن غيره من المؤلفات الإقليمية السابقة عليه لكثرة تفاصيله الجغرافية التي تصف ديار الإسلام والدول المجاورة لها [٧] ، بالإضافة إلى أنه يمثل مرحلة متقدمة في تاريخ البحث الجغرافي [**مرحلة النضج**] – لاعتماد مؤلفه على البحث المبني على الاختبار الشخصي والمعرفة المكتسبة من السفر والتنقل بين **أقطار** العالم الإسلامي[٨] والاطلاع على ما كتب من قبله بقصد إعطاء فكرة واضحة عن **الأقاليم**، وهذا يعني اتباعه لأساليب علمية تتفق مع الأساليب الحديثة في جمع المعلومات، والذي اتبعه أساتذة الجغرافيا الحديثة من أمثال همبولت **Humbolott** وراتزل **Ratzel** وفيدال دي لا بلاش **De La Blache** وهنتنجتون **Huntington** وغيرهم [٩] .

مفهوم الجغرافيا الإقليمية عند ابن حوقل ومصادر دراسته :

تنوعت اهتمامات الجغرافيا العربية خلال العصور الوسطى، ومن بين اهتماماتها دراسة أقاليم العالم الإسلامي كما في كتاب **صورة الأرض** (١٠) ، الذي يصنف ضمن الجغرافيا الإقليمية التي يراها الباحث أنها من أهم الاتجاهات الجغرافية التي اهتم بها العرب، والذي استمر حتى القرن الثامن الهجري [الرابع عشر الميلادي] من خلال أبي الفدا .

وقد وردت هذه الدراسات الإقليمية تحت مسميات مختلفة أهمها [**المسالك والممالك والأقاليم**] ، كما هو عنوان كتاب [الأصطخري] ، كما ضمت المؤلفات التي تتحدث عن البلدان .

وتلك المصنفات الجغرافية الإقليمية ومنها كتاب **صورة الأرض** تميزت بمنهجها الوصفي، ونبذ الأساس الرياضي الذي كان يمثل لب الجغرافيا العربية في بداية ظهورها، حيث اعتبرت الجداول الفلكية الرياضية أو التي تُعرف بالأزياج (١١) ، والتي توضح أطوال وعروض النقاط الرئيسية المسكونة في العالم أساس لدراستها الإقليمية ، ومن أهم المؤلفات الجغرافية العربية التي استخدمت الأساس الرياضي كتاب **صورة الأرض** للخوارزمي الذي يُعد أكبر رياضي القرن التاسع الميلادي .

وقد ارتبط التطور في الدراسات الإقليمية بتطور مفهوم الجغرافيا الإقليمية عبر القرون، ولاسيما خلال القرن الرابع والخامس الهجريين [التاسع والعاشر الميلادي] نظراً لكثرة المؤلفات الإقليمية ، والموضوعات التي تدرسها، والتي كانت تعرض بها كصورة مسلسلة تمتاز بالدقة، وكانت الطريقة التي اتبعها روّاد هذه المدرسة تبدأ بتقسيم منطقة الدراسة إلى أقاليم أو تحديد موقع المنطقة في العالم المعمور، ثم ذكر أهم المظاهر الفزيوجرافية في كل إقليم ، ثم عرض المدن وما بها من نشاط اقتصادي واجتماعي ، ثم تسجيل عادات وطباع وأعمال السكان . بعد ذلك يتعرض الجغرافي

لإنـتاج الإقلـيم مـن الغـلات النباتية والمعدنية، وينتهي بمناقشة ما سمعه من أخبار وخاصـة تلـك التي توصف بأنها خرافات عن كل إقليم. ويرى الباحث أن أفضل مثال لهذا الاتجاه هو كتاب صورة الأرض.

أمـا فكرة الإقليمية ذاتها فترجع إلى النظرية اليونانية الخاصة بتقسيم المعمور إلى سبعة أقاليم، وهذه الأقاليم عبارة عن أشرطة عريضة تمتد بموازاة خط الاستواء ، وهـذه الأقاليم مرتبة من الجنوب إلى الشمال [١٢]، وعضدها التقسيم الفارسي الذي اتبع نفس التقسيم وسمي الأقاليم السبعة كشورات [١٣] شكل [١] .

أما الإقليم عند ابن حوقل فهو عبارة عن مناطق جغرافية صرفة تتعاقب ممتدة مـن الشـرق إلى الغرب، خلاف ما عرفه بطليموس الذي اعتمد على خطوط الطول ودوائـر العـرض في تقسيم العالم إلى أقاليم مختلفة، من الجنوب إلى الشمال؛ لأن ابن حوقـل أدرك أن هـذه الطريقة غير كافية، ولهذا اعتمد على مميزات الأقاليم الطبيعية والبشـرية مـثل: المدن والطرق ومنتجات الأرض وتفصيلات أخرى بشكل مستفيض للغايـة وخاصـة أنشطة السكان [١٤] ، ومن ثمّ صار هذا الكتاب مثالاً صادقاً تبرز من خلاله الصفة الحقيقة للجغرافيا العربية الإسلامية .

وقـد سـاهم اشتغال ابن حوقل بالتجارة والسياسة والعلم في توفير المعلومات الجغرافـية اللازمـة عن بلدان العالم الإسلامي يضاف إلى ذلك نشأته في بغداد منارة العلم في هذه الآونة ، والتي جمعت بين جنبات مكتباتها كتابـات

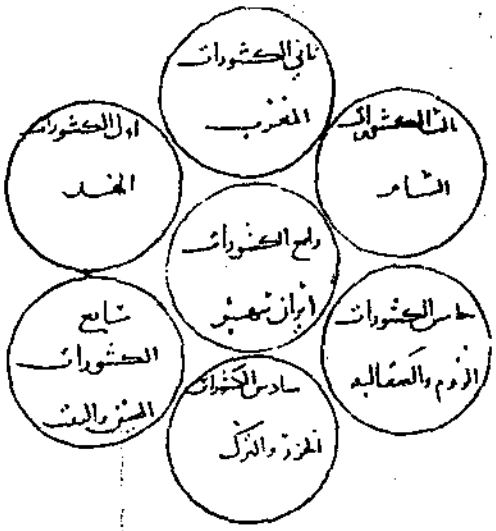

الكشورات السبع

المصدر : البيروني كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم

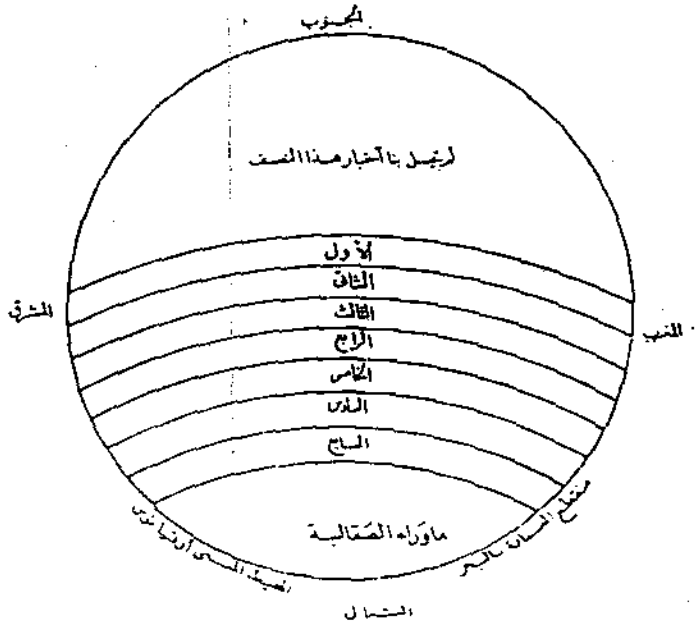

الاقاليم السبعة كما رسمها البيروني

المصدر : ياقوت الحموي

شكل (١)

ابن خرداذبة والبلخي التي كانت دافعاً لأن يجوب ابن حوقل البلاد العربية والإسلامية. وفي أثناء رحلاته قابل الأصطخري وتحديداً في السند ، وهناك تبادلا المعلومات وطلب الأصطخري من ابن حوقل أن يراجع كتابه مسالك الممالك وقد أعجب الأصطخري بما كتبه ابن حوقل عن العراق، ولكن لم يعجبه ما كتبه عن مصر والمغرب، كذلك أشاد ابن حوقل بما كتبه الأصطخري عن بلاد فارس، ولكنه أنكر بعض ما جاء في دراسته للسند. ويبدو أن ابن حوقل فكّر فيما بعد في نشر كتاب خاص به ففعل وأعطى له نفس اسم كتاب الأصطخري ورسم له خرائط تمثل أقاليم العالم الإسلامي .

ومما يلفت النظر أن هناك تشابهاً واضحاً بين الكتابين في عرض المادة العلمية ، وفي ترتيب الفصول، وهذا يرجع إلى التأثير الفكري عن طريق ما تمّ من مقابلات بينهما، وأهمية كتاب الأصطخري من جهة، وطلب الأصطخري من ابن حوقل مراجعة مصنفه وتهذيب خرائطه التي تضمنها كتابه من جهة أخرى، كما أن هذا التشابه لا ينفي جهد ابن حوقل الواضح في تأليف كتاب صورة الأرض ، وإضافاته التي أبرزت أهمية هذا الكتاب، واختلافه من حيث الكم والكيف عن كتاب [الأصطخري] مستعيناً في ذلك بخلاصة معارفه التي اكتسبها أثناء رحلاته الطويلة التي استمرت قرابة الثماني والعشرين عاماً ابتداءً من عام ٩٤٢م جاب خلالها البلاد العربية والإسلامية من الهند شرقاً حتى أسبانيا غرباً، مروراً ببلاد البلغار والحوض الأدنى لنهر الفولجا [١٥] ، بالإضافة إلى ما قرأه في المؤلفات الجغرافية السابقة.

ورغم التشابه بين كتاب صورة الأرض، وكتاب مسالك الممالك يرى الباحث أن الكتاب الأول أكثر دقة وأكبر حجماً من الثاني؛ لأنه يمثل محصلة لما كتب في مرحلة سابقة مضافاً إليه جهد المؤلف وخلاصة معارفه من رحلاته الطويلة . والاختلاف واضح أيضاً في عدد الخرائط التي احتوى عليها كتاب صورة الأرض ، وأن ابن حوقل في هذا الشأن أكمل ما بدأه الأصطخري الذي أرسى أساساً لسلسلة

جديـــدة من المؤلفات الجغرافية المشتملة على خرائط توضيحية وكانت الخريطة آنذاك شيئاً نادراً (١٦).

ويـــرى الباحـــث أن الأســـلوب الذي اتبعه ابن حوقل في تقسيم كتابه ودراسته لأقالـــيم الإسلام يتفق مع مفهوم المنهج حالياً بكل وضوح والذي أتى به أصحاب منطق بوروبال عام ١٦٦٢م ، حيث حدّد أصحاب هذا المنطق بأن فن التنظيم الصحيح لسلسة مـــن الأفكـــار العديدة من أجل الكشف عن الحقيقة، حيث نكون بها جاهلين أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين (١٧).

أمـــا بشـــأن الدوافع التي كانت وراء تأليف كتاب صورة الأرض، فقد استنتجها الباحـــث مـــن خـــلال تحليله لهذا الكتاب وما ذكره ابن حوقل في مقدمة كتابه، ويمكن إيجازهـــا في القول بأنه اهتم كثيراً بالقراءة والاطلاع وخاصة كتب المسالك والممالك، والتـــي تعتبر البنية الأساسية لوجود الاتجاه الإقليمي، والذي يُعد كتاب صـــورة الأرض امتداداً طبيعياً له ، وأهم مصدر لهذا الكتاب. وقد استوعب ابن حوقل ما بهذه المؤلفات مـــنذ أن كـــان شـــاباً، ولكـــنه لم يجد فيما قرأ ما يسد رمقه، ويشبع رغبته ومعرفته، بالإضـــافة إلـــى عـــدم اقتناعه بما كُتب في هذا الاتجاه ، وتباين الآراء والأفكار التي وردت فـــيما قـــرأه مـــن مؤلفـــات جغرافية، وخاصة كتابات ابن خرداذبة والجيهاني والأصـــطخري. وقد اتضح ذلك فيما ذكره ابن حوقل في مقدمة كتابه فقال : " .. وكان ممـــا حضني على تأليفه وحثني على تصنيفه، وجذبني إلى رسمه أني لم أزل في حال الصـــبوة شغفاً بقراءة كتب المسالك، متطلعاً إلى كيفية البين [التفريق] بين الممالك في الصور والحقائق، وتباينهم في المذاهب والطرائق ، ... وترعرعت فقرات الكتب الجليلة المعـــروفة والتوالـــيف الشريفة الموصوفة، فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً، وما رأيت فيها رسماً متبعاً ، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب " (١٨).

ويمكـــن أن نستخلص حقيقة مهمة من خلال ما ذكره ابن حوقل ، وهذه الحقيقة مفادها : أن ابن حوقل قبل أن يقوم بعمله الجغرافي المتمثل في تأليف هذا الكتاب رجع

إلـــى الكتب والمراجع التي أعدّها من سبقوه، وصحح ما بها من أخطاء وأضاف إليها، وذلـــك بواســـطة نزولـــه إلى الميدان، وليس أدلّ على ذلك من قوله : " وأعانني عليه تواصـــل الســـفر، وانزعاجـــي عن وطني مع ما سبق به القدر " ، وذكره أيضاً " وقد ذكـــرت فـــي آخر كتاب هذا كيف تعاورتني الأسفار، واقتطعتني في البر دونه ركوب للـــبحار، إلـــى أن ســـلكت وجه الأرض بأجمعه في طولها، وقطعت وتر الشمس على ظهـــرها .. ولم استقص ذلك كراهية الإطالة المؤدية إلى ملل قارئه، ولأن الغرض من كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحد " [١٩] .

واســـتكمالاً لأســـباب تأليف هذا الكتاب شرح مؤلفه هذه الأسباب بكل وضوح، وخاصـــة الظـــروف السياسية والاقتصادية التي سادت بلدان العالم الإسلامي، وخاصة بلـــدان المشرق، حيث مزقتها الحروب وظلم الحكام ، وتدهور أحوال سكانها، واقتناعه بقصـــور فيما يخص أقاليم الإسلام وخاصة التي لم يذكرها أحد من قبل، والمتمثلة في إقليميـــن هما [الأندلس وصقلية] ، وهما اللذان زادهما ابن حوقل عن الأصطخري . وقـــد اتضح ذلك في قول ابن حوقل : " وأعانني عليه تواصل السفر .. وجور السلطان وكلـــب الـــزمان، وتواصـــل الشـــدائد على أهل المشرق والعدوان، .. وكثرة الجوائح والنوائـــب، وتعاقب الكلف والمصائب، واختلال النعم وقحط الديم .. وما كان أكثر ما حدانـــي علـــى هـــذا الكتاب وتأليفه على هذه الصورة أني كنت في حال الحداثة شغفاً بأخـــبار الـــبلدان والوقـــوف علـــى حال الأمصار، كثير الاستعلام والاستخبار لسامرة النواحي، ووكلاء التجار، وقراءة الكتب المؤلفة فيها " [٢٠] .

وقـــد قسّـــم ابن حوقل العالم الإسلامي إلى اثنين وعشرين إقليماً، بإضافة اثنين عـــن الأصطخري وهما كما ذكر من قبل [صقلية والأندلس] ، وتمثل الإضافة المهمة لابن حوقل ، وهذه الأقاليم هي كالتالي:

١- ديار العرب . ٢- بحر فارس . ٣- ديار العرب .

٤- ديار مصر . ٥- أرض الشام. ٦- بحر الروم .

٧- أرض الجزيرة. ٨- العراق. ٩- خوزستان .

١٠- بلاد فارس. ١١- بلاد مكران . ١٢- بلاد السند [٢١].

١٣- أذربيجان . ١٤- الجبال. ١٥- الديلم وطبرستان.

١٦- بحر الخزر [بحر قزوين] . ١٧- مفازاة خراسان وفارس.

١٨- سجستان . ١٩ - خراسان .

٢٠- بلاد ما وراء النهر [٢٢] . ٢١- الأندلس .

٢٢- صقلية .

ويـرى الباحـث أن إضافة ابن حوقل لهذين الإقليمين جاءت من كثرة رحلاته الواسـعة، وخاصـة في الشطر الغربي من العالم الإسلامي مما وفر له مصدراً مهماً للمادة للعلمية التي اعتمد عليها في شرحه لهذه الأقاليم أو غيرها من أقاليم الإسلام .

وهـناك أيضاً إضافة واضحة في كتاب صورة الأرض وبها اختلف عن كتاب المسـالك والممالك الذي كتبه الأصطخري، وهي أن دراسة ابن حوقل رغم أن هدفها الأساسـي هـو دراسـة العالم الإسلامي، إلا أنها تعدت ذلك إلى دراسة مناطق خارج نطـاق مملكـة الإسـلام، ولكـن ضمن الربع المعمور الذي كان معروفاً آنذاك عند الجغرافيين المسلمين، بل أن هناك ما يُحسب لابن حوقل وهو التعديل الدقيق والأساسي فـي أقسـام كـل مـن العراق وأرمينيا وما وراء النهر، وفيما يخص مصر وإفريقيا وإسـبانيا وصـقلية، وهـذا يعني أن كراتشكونسكي جانبه الصواب حينما ذكر أن ابن حوقـل قصـر مادته العلمية على البلدان الإسلامية، وإهمال ما يقع خارج هذا النطاق، كمـا فعـل بقية الجغرافيين الإقليميين [جغرافي المدرسة الكلاسيكية] [٢٣] ، وهذا ما يؤيده الباحث أيضاً .

أمـا عن مصادر دراسته فهي متنوعة ، وتنوعها كان سبباً رئيسياً في دقة هذا الكـتاب وشموليته، ومنها القراءة والاطلاع على الكتب السابقة، وزياراته الميدانية من خـلال رحلاته التي وفرت له المشاهدة ، والسؤال والاستقصاء والتحقيق، وملاحظاته الدقـيقة، وقـد سبق ذكر أهم المؤلفات التي كان ابن حوقل على علم بها، إلاّ أن أهمها على الإطلاق هو كتاب **مسـالك الممالك** للأصطخري [ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م] ، ولشدة تأثـر ابن حوقل بهذا الكتاب قسم كتابه طبقاً لأقسامه وأحياناً جملة وعبارته، مما جعل بعـض الباحثيـن يزعمون أن كتاب **صورة الأرض** ما هو إلا نسخة منقحة من كتاب **مسـالك الممـالك** ، واعتمدوا كذلك على مقابلة ابن حوقل للأصطخري، وتبادل الآراء والمعلومات عن كتابه **مسالك الممالك**.

وبعد الاطلاع على كلا المؤلفين يرى الباحث أن في هذا الرأي ظلماً بيّناً لابن حوقـل ، وإنكـاراً لمجهوده الذي بذله في كتابه، ودوره في تطوير الجغرافيا العربية، وخاصـة الجغرافـيا الإقليمـية، وأن أوجه التشابه هذه دليل واضح على أهمية كتاب الأصـطخري ، وإيمان ابن حوقل بهذه الأهمية، واطلاعه على هذا الكتاب وإدراك ما جـاء بـه، واعتـباره أنه من أهم الكتابات الجغرافية ، لهذا اعتبره ابن حوقل مصدراً أساسياً لمادته وفكره عندما ألف كتابه .

وطـبقاً لما ذكره ابن حوقل في مقدمته أنه لم يجد ما يُشبع رغبته فيما كتب من قـبل وفـيما قـرأه بمـا في ذلك كتاب الأصطخري، فأراد أن يزيد على ما جاءت به الكـتابات السـابقة – وخاصـة كتاب **مسالك الممالك** – من دراسات عن أقاليم العالم الإسـلامي، ويغطـي جوانب النقص في هذه الكتب التي لم تذكر جميع أقاليم الإسلام، وينقح هذا الكتاب مما ورد به من استطرادات لا أهمية لها.

ومما يـبرز هذا الاختلاف احتواء كتاب **صورة الأرض** على معلومات مهمة وكثـيرة عن البلاد الإسلامية لم ترد في كتاب الأصطخري، وخاصة عن العراق وبلاد السند ومصر والمغرب والأندلس وصقلية وإيران .

وبمقارنة الكتابين توصل الباحث إلى أن ابن حوقل جغرافيٌ بالفطرة من خلال حسه الواضح ونضجه الجغرافي، وهذا اتضح من تحديده الدقيق للمواقع الجغرافية للأقاليم والبلدان، والاقتصاد في الاستطرادات غير الجغرافية، والتزامه في بعض التقسيمات الإقليمية بالعامل السياسي والإداري أكثر من التزامه بالعامل الطبيعي، مما جعل أقاليمه على شكل وحدات سياسية أو دول، وكثرة التفاصيل البشرية بل طغيانها في كتابه بشكل واضح، وإضافة إقليمين جديدين عمّا ذكره الأصطخري [الأندلس وصقلية] .

وهذه الإضافة أعطت الدراسة الجغرافية الإقليمية لابن حوقل بعداً جديداً [أفقياً ورأسياً] ، البعد الأفقي تمثل في اتساع المساحة المدركة في دراساته الجغرافية بإضافة أراضي جديدة لم تذكر من قبل، والبعد الرأسي في حجم المادة العلمية التي احتوى عليها هذا الكتاب، سواء عن الأقاليم التي عرفت عند سابقيه وخاصة الأصطخري، أو تلك التي ذكرها عن الأقاليم الجديدة كما هو في دراسة الأندلس وصقلية، بالإضافة إلى أنه اختلف عن الأصطخري في دقة وطريقة عرض مادته العلمية .

ومن بين المصادر التي اعتمد عليها أيضاً كتاب ابن خرداذبة والجيهاني وأبي الفرج قدامة بن جعفر صاحب كتاب [**الخراج**] وهذا واضح مما ذكره في مقدمة كتابه : " وكان لا يفارقني كتاب ابن خرداذبة **المسالك والممالك**، وكتاب الجيهاني، وتذكرة أبي الفرج قدامة بن جعفر " [٢٤] ، وذكره هذه المصادر دليل واضح على أمانته العلمية التي هي من أسس البحث العلمي في العصر الحديث .

ويضاف إلى المصادر الرئيسية المكتوبة والتي حددها وسبقت الإشارة إليها استند [ابن حوقل] إلى مصادر أكثر أهمية لكونها تأتي بالمعلومة من واقعها أي من البيئة عن طريق المشاهدة الشخصية والملاحظة والسؤال والاستقصاء التي جاءت كنتيجة مباشرة لرحلاته الكثيرة بين أرجاء العالم الإسلامي بغرض التجارة والسياسة،

والـرحلات علـى اختلاف دوافعها أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان . فالاختلاط والتعايش مـع الشعوب المختلفة، إضافة إلى الاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطباعهم والتحقيق في ديانـاتهم ونظـم حكمهـم، غالباً ما تضع أمام الفرد مجالاً طيباً للمقارنة الموضوعية، وتساعده على تقييم نظم وتقاليد بلده وموطنه، وهذا ما ظهر في كتاب صورة الأرض ، ومـا حـدده مؤلفه ابن حوقل عن مصادر معلوماته، ومنهجه في جمع هذه المعلومات، والمتمـثل فـي [السؤال والاستقصاء والتحقيق] . فقال : " وكان أكثر ما حداني على هـذا الكـتاب وتألـيفه على هذه الصورة أني كنت كثير الاستعلام والاستخبار لسافره النواحـي ووكلاء التجار وقراءة الكتب المؤلفة فيها، وكنت إذا التقيت الرجل الذي أظنه صادقاً وأخاً له بما أسأله عنه خبيراً عالماً فأجد عند إعادة الخبر الذي أعتقد فيه صدقه، وقد حفظت نسقه وتأملت طرقه ووصفه أكثر ذلك باطلاً، وأرى الحاكي بأكثر ما حكاه جـاهلاً ثم أعاوده الخبر الذي ألتمسه منه والذكر ليسمع الذي استوصفه وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك بعد رؤيته " [٢٥] .

وطـبقاً لما يعرف حالياً من أسس البحث العلمي يرى الباحث أن ما ذكره ابن حوقل يمثل جانباً مهماً منه، وهو ضروري وخاصة في الدراسات الجغرافية التي تعتمد على الدراسة الميدانية التي كانت تمثل جانباً مهماً من جوانب البحث الجغرافي عند ابن حوقـل بالإضـافة إلى ضرورة التحقق من صدق ما يسمح من روايات ، والتأكد من مصدر معلوماته وإذا كان ضرورياً كما ذكر ابن حوقل يجده الباحث في بعض الأحيان عكس ما ذكر، فلا ينقد ما يسمع ولا يتحقق من صحته، وهذا تبين في ذكره موقع جبل المذيجـره فقـال : " بلغني أن أعلاه كان عشرين فرسخاً " ، وعن اليمن قال : " بلغني أنهـا تكـثر بهـا القرود حتى لا تطاق إلا بجمع عظيم " [٢٦] . وللإنصاف فيذا لا يُعد قـاعدة أساسـية، فقد غلب على دراسته الدقة؛ لأن كثيراً ما يورد معلوماته عن البلدان بدقـة، مـثل دراسـته للأندلـس وإفريقية وإيران وبلاد العرب وغير ذلك من البلدان والأقاليم.

كمـا تعددت الأدلة التي تعكس مصادر ابن حوقل، سواء أكانت أدلة منقولة من المؤلفـات الجغرافية السابقة عليه أو الأدلة التي أتى بها من الميدان من خلال المشاهدة أو الملاحظة بالإضافة إلى المعرفة الشخصية، فالأولى منقولة عن الأثر العربي الأول بلفظـه ومعـناه في بعض الأحيان، وربما يكون لفظه ومعناه في البعض الآخر . ومما يـدل علـى صـدق ذلـك مـا ذكـره في وصفه للطريق من فاس إلى المسيلة ببلاد المغـرب العربي فقال : " .. وقد أتيت بهذا الطريق مقلوباً لأني سلكته من المغرب إلى إفريقية " (٢٧) .

وتُعـد الأمانـة العلمـية أهم الصفات التي اتصف بها ابن حوقل ، فالغالب ما ينسـب القـول لأصحابه وهذه الصفة من أهم ما يجب توافره في الباحث حالياً، ومما يبرز هذه الصفة في كتاب **صـورة الأرض** ما ذكره بشأن بلاد السودان ، فقال : " يقول الكـندي : إن البـيض إذا تناسـلوا فـي بلـد السودان سبعة أبطن عادوا في نسختهم ويسـولدهم، وإذا توالد السودان في بلد البيض سبعة أبطن عادوا في صورتهم وخلقهم مـن البـياض والنقاء "(٢٨) . ويتضح من هذا الرأي إيمان ابن حوقل بأثر المناخ على لون البشرة، وإهمال العامل الوراثي .

ويخـتلف الباحـث مع ابن حوقل في هذا الشأن، لتبنيه آراء الكندي دون التأكد من صحتها أو مناقشتها رغم مخالفة هذا الرأي للقواعد الوراثية، فالأفراد يختلفون فيما بيـنهم كثيراً في لون البشرة طبقاً لتركيز مادة الميلانين **Melanin** والمسئولة عن لون البشـرة التي توجد في الطبقة الخارجية للجلد، ومن المعروف أن كمية الميلانين تورث غـير أن طـريقة الوراثـة وعدد الوحدات المحتوية عليها مازال أمراً مجهولاً، وهذا لا ينفـي أيضـاً أثـر أشـعة الشمس وخاصة فوق البنفسجية على كمية المادة الملونة للجسم (٢٩).

أمـا مـا يمكـن استنتاجه من هذا الرأي فهو أن ابن حوقل حاول جدياً بحث العلاقة بين الإنسان والبيئة كما تفعل الدراسات الجغرافية الحديثة، ويُعدّ ذلك دليلاً على

أنــه مــن أوائــل الحتمييــن الذين استطاعوا الربط بين المناخ وغيره من الظاهرات الجغرافية. ومن رواد هذه المدرسة في العصر الحديث فردريك راتزل وديمولان وإلين سمبل (٣٠) .

وقــد اكتســب كتاب **صورة الأرض** أهميته من تنوع الدراسات الجغرافية التي يحــتويها وخاصــة عــن أقاليم العالم الإسلامي، وهذه الدراسات أبرزت ملامح الفكر الجغرافــي عند ابن حوقل، وأهم ما يميز الدراسات الجغرافية العربية في القرن العاشر الميلادي، وخاصة الجغرافيا الإقليمية. ويمكن إيجاز الملامح فيما يلي :

أولاً : الأخذ بفكرة الإقليم .

ثانياً : إيضاح العلاقات المكانية والمواقع الجغرافية .

ثالثاً : الالتزام بالمعلومات الجغرافية والاقتصاد في المعلومات التاريخية.

رابعاً: رسم الخرائط الإقليمية .

وقد درس ابن حوقل هذه المحاور الجغرافية ضمن منهج علمي سليم من خلال عــرض المــادة العلمــية والتوصل إلى صورة جغرافية أفضل للعالم الإسلامي، وهذه المحاور سوف يتم دراستها تفصيلاً في هذا البحث .

أولاً : الأخذ بفكرة الإقليم :

بــدأت فكــرة الإقليم منذ العصر اليوناني، وقد شرح ياقوت الحموي في معجم الــبلدان مفهــوم كلمــة إقلــيم ، واعتبره الجزء المقلوم أي المقطوع من الأرض التي تــتاخمه، والقلــم في أصل اللغة : القطع . وحمزة الأصفهاني سمي الإقليم كشخر بلغة الفرس (٣١) .

وقــد أخــذ العرب من السريانيين للكشخر اسماً [وهو الإقليم] اسم للرستاق، وتبــنى البيرونــي آراء أبو الفضل الهروي التي اعتبرت الإقليم هو الميل أي المساكن

المائلـــة عـــن معـــدل النهار ، وهذا يتفق مع الحقيقة بأن كلمة إقليم محرفة عن الكلمة اليونانـــية Klima التي استخدمها العالم اليوناني هيبار خورس ١٤٠ ق.م ، وهو الذي قسم سطح الأرض إلى مناطق وفقاً لطول النهار وطبقاً لخطوط موازية لخط الاستواء، وقـــد أخـــذ العرب هذه الفكرة وقسموا المعمور إلى سبعة أقاليم ممتدة كأشرطة بموازاة خـــط الاســـتواء مرتبة من الجنوب إلى الشمال [٣٢] ، وهي التي تعرف بالأقاليم الفلكية لاعتمادها على دوائر العرض في تقسيم المعمور .

ويـــرجح الباحث أن هذا التقسيم الفلكي إلى سبعة أقاليم بالتحديد إنما يتمشى مع الكواكب السبعة بما في ذلك الشمس والقمر، وقد استمر هذا التقسيم وهذا المفهوم حتى النصـــف الثانـــي مـــن القرن الثالث الهجري حينما ظهرت كتب [المسالك والممالك] والتـــي عدلـــت أسس تقسيم الأقاليم من أسس فلكية ورياضية أي طبقاً لخطوط الطول ودوائـــر العـــرض كمـــا فعـــل بطليموس من قبل إلى الاعتماد على التقسيم السياسي والإداري كما جاء في دراسة ابن حوقل، الذي اعتبر أن التقسيم الرياضي والفلكي غير كـــاف وأن المناخ قد يؤدي إلى الخلط، وأنه أراد بذلك أن يتفادى هذا الخلط [٣٣] ، رغم أنـــه جعل من المناخ فكرة جغرافية بحتة تخضع للمنهج الذي يتخذه في شرحه للأقطار المعينة .

والخلـــط مـــن وجهـــة نظر الباحث والذي يقصده ابن حوقل هو أن المناخ قد يتشـــابه في كل الدول التي تقع ضمن إقليم واحد طبقاً للتقسيم الفلكي لوقوع هذه الأقاليم ضمن دوائر عرض واحدة وعلى مسافة متساوية من خط الاستواء على سطح الأرض ، ومـــن ثمّ لم يعتمد ابن حوقل على هذا التقسيم وجعل الإقليم منطقة من الأرض ذات خصائص طبيعية وبشرية معينة أو سياسية وإدارية، قد تختلف فيها درجات الحرارة أو المـــناخ عموماً بعناصره المختلفة نتيجة لعوامل طبيعية أو بشرية لا يمكن إغفالها مثل: المســـطحات المائـــية، التضـــاريس، الغطاء النباتي، أنشطة السكان المختلفة كالصناعة مـــثلاً، وهـــذا المفهوم يراه الباحث أكثر دقة وصدقاً وتمشياً مع المفهوم الحالي للإقليم

الجغرافـــي، كمـــا يعني هذا أن ابن حوقل أدرك المفهوم الصحيح للشخصية الجغرافية لكل إقليم . وتأكيداً لذلك اعتبر الإقليم منطقة جغرافية لها حدودها السياسية وتشترك في خصائصـــها الجغرافية [الطبيعية والبشرية] كالمناخ والنبات والتضاريس، وخصائص الســـكان وتركيـــبهم الســـلالي والعرقـــي وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية والتاريخية .. إلخ .

أما بشأن تطور الدراسات الجغرافية الإقليمية عند العرب في العصور الوسطى حتى ظهور كتاب صورة الأرض، فقد بدأت هذه الدراسة [بجزيرة العرب] في تصنيف ذكـــر المـــدن المعمـــورة والـــبلدان المســـكونة المشهورة، وفي ذكر البوادي والقفار [الصحاري] ، ومن الذين كتبوا عن جزيرة العرب هشام الكلبي من أشهر مؤلفاته كتاب [الأقالـــيم] ، والأصـــمعي [١٢٢هـــ - ٢١٦ هـــ/ ٧٤٠م - ٨٣١م] صاحب كتاب [جزيـــرة العـــرب] ، وكذلك الهمداني [ت ٣٣٤هـــ/ ٩٧٥م] صاحب كتاب [جزيرة العرب] .

ومـــنذ النصـــف الثانـــي من القرن التاسع الميلادي اتسع مجال هذه الدراسات ليشمل أقطاراً أخرى مثل كتاب صورة الأرض للخوارزمي الذي تأثر ببطليموس، ومن ثـــم بالرياضة والفلك . ثم ظهرت مجموعة من الكتب تحمل عنوان المسالك والممالك، أشـــهرها كـــتاب المســـالك والممـــالك للأصطخري ، وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة وهذه المؤلفات تخصصت في دراسة العالم الإسلامي كوحدة جغرافية، وهناك من تعدى ذلك وهو كتاب [صورة الأرض] لابن حوقل موضوع البحث [٣٤] .

وقـــد اتخذ كتاب صورة الأرض من التقسيم الإقليمي للمعمور أساساً للدراسة ، مـــن خـــلال دراســـة مسلسلة تمتاز بالدقة، وتبرز بوضوح مفهوم الإقليم في ذهن ابن حوقل، ويمكن عرض هذا التسلسل كما يلي:

أولاً: تقسيم المعمور إلى اثنين وعشرين إقليماً طبقاً للعديد من الأسس أهمها : الشكل [الاستدارة والتربيع والتثليث] ، والطول والعرض طبقاً لمقاييس زمنية مثل: المرحلة والليل والنهار واليوم والفرسخ .

ثانياً: دراسة المظاهر الطبيعية لكل إقليم مثل: إقليم ديار العرب وذكر ما به من جبال وصحارى وطرق ، وما يجاوره من أنهار وبحار، ووصف لأنواع المناخ في أقاليم الإسلام .

ثالثاً : ذكر المسافات بين الأقاليم وموقع كل منها مع الاهتمام بمدى اتصال أجزاء كل إقليم ، ومساحة كل جزء وشكله ومدنه وبعض قراه ومواقعها ومراتبها في الحجم، والأهمية، وهذا واضح في قوله : " فقد فصلت بلاد الإسلام إقليماً إقليماً وصقعاً صقعاً ، وكوره كوره لكل عمل " (٣٥) .

رابعاً: دراسة أنشطة السكان الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لكل إقليم مع ذكر بعض الجوانب التاريخية .

ويرى الباحث أن أهم إضافات ابن حوقل الجغرافية تتمثل في التحديد الدقيق للحيز المكاني لكل إقليم ، وإبراز العلاقات المكانية كما يتضح من قوله : " وسأذكر كل إقليم من ذلك بما يعرف قربه ومكانه من الإقليم الذي يضامه ويصاقبه إن شاء الله . فأما مملكة الإسلام فإن شرقيها أرض الهند وبحر فارس [المحيط الهندي والبحر العربي] وغربيها مملكة السودان السكان على البحر المحيط [الأطلنطي] ... وشماليها بلاد الروم .. وبعض مملكة الصين وما اتصل بها من بلاد الأتراك ، وجنوبيها بحر فارس. وبلاد الأتراك التي ذكرها ابن حوقل غير تركيا الحالية فهي المنطقة التي تعرف بالتركستان الغربية والتي تحتلها حالياً الجمهوريات الإسلامية أوزبكستان وطاجيكستان، تركمانستان، كازاخستان ، وتمتد هذه المنطقة حتى بحر قزوين ، ويطلق عليها كذلك بلاد التركستان والتركمان (٣٦).

وحتى يؤكد ابن حوقل مبدأ الإقليمية في دراسته يقسم الأقاليم الجغرافية الكبرى إلـى أقاليم صغرى متبعاً في دراستها نفس المنهج، أي نفس التسلسل المنطقي الدقيق. وهذا جعله يبرز ويورد تفاصيل جغرافية دقيقة عن بلدان لم تعرف من قبل، كما تجسد ذلـك فـي رسـم الخرائط لكل من هذه الأقاليم، ومن الأمثلة على هذا التقسيم ما ذكره بشأن بلاد العرب، حيث قسمها إلى إقليم مكة والمدينة واليمامة والطائف وتبوك وتهامة وخولان واليمن وحضرموت وعمان وعدن.

كمـا قسم إقليم بلاد المغرب إلى إقليمين، شرقي وغربي: **الإقليم الغربي**: يمتد مـن مصر وبرقة بليبيا إلى إفريقية وناحية تنس [تقع على الساحل الليبي حالياً بالقرب مـن برقة] إلى سبتة وطنجة [بالمغرب]. وأما **الإقليم الشرقي** فهو بلد الروم من حدود الـثغور الشـامية إلى القسطنطينية إلى روما [إيطاليا] والأنكبرده [إنجلترا] والإفرنجه [فرنسـا] . وجليقـية [شمال أسبانيا على المحيط الأطلنطي] ، ثم باقي ذلك إلى آخره للغرب في يد أصحاب الأندلس " [٣٧] . **شكل (٢)**

تأتـي بعـد ذلك دراسته للأقاليم الرئيسية والثانوية معتمداً على الوصف الدقيق والتحليل الجغرافي للخرائط التي رسمت لهذه الأقاليم بحيث يأتي بالخريطة يليها النص الجغرافـي كشارح لها [*] وهذا ما اتضح من قوله في مقدمه كتابه : " .. لأن الغرض من كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحد ممن شاهدها .. " [٣٨] .

كمـا تظهر أهمية دراسة ابن حوقل من خلال إضافاته المتمثلة في المعلومات الجغرافـية الأولـية الكثيرة عن أقاليم الإسلام وبلدان كل إقليم، والتي لم ترد في كتاب الأصـطخري، يُضـاف إلى ذلك التزام ابن حوقل بالعامل السياسي المتمثل في إبراز حـدود كل إقليم وحدود دوله، وبيان نظم الحكم فيه ومن هم حكامه، كما التزم بالجانب الإداري وهو توضيح التقسيم الإداري الذي كان سائداً في العالم الإسلامي، وتوابع كل إقليم إدارياً سواء مدن أو قرى.

(*) سوف يأتي شرح مفصل لخرائط ابن حوقل .

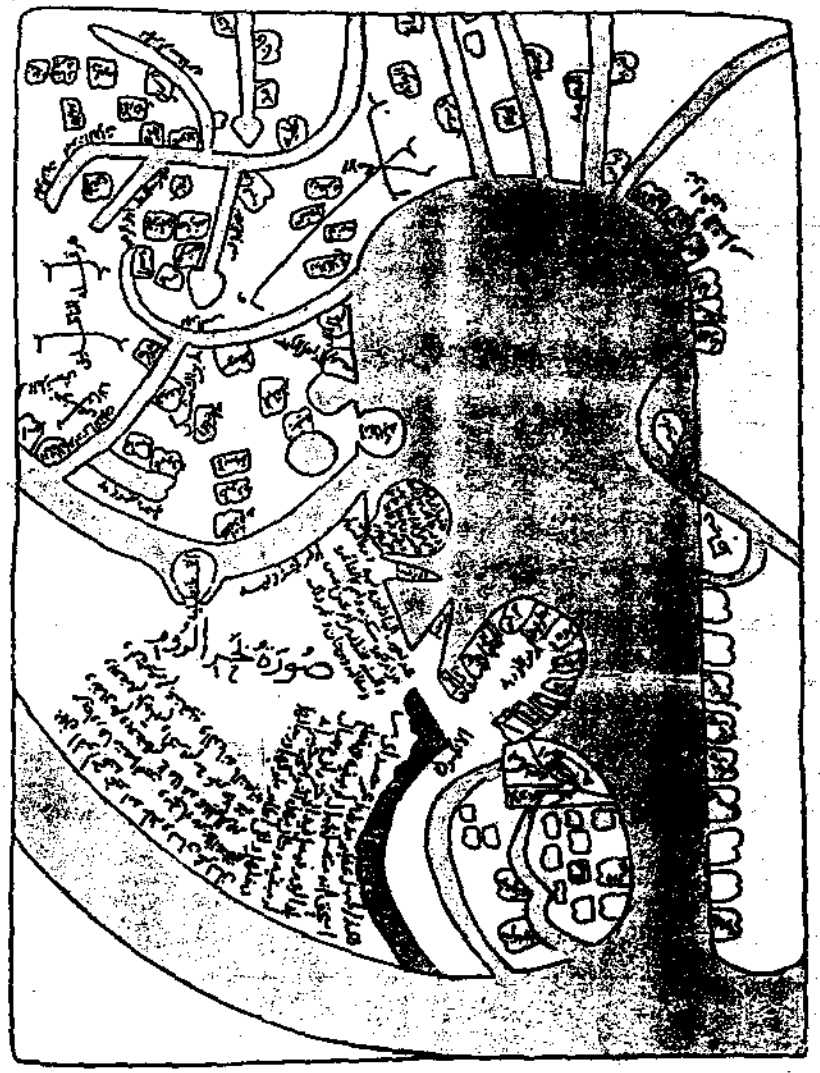

شكل (٢) صورة بحر الروم

ومما يوضح التزام ابن حوقل دينياً وانتمائه الشديد للدولة العربية الإسلامية آنذاك، استهلال دراسته بذكر ديار العرب معللاً ذلك بوجود الأماكن المقدسة بها وخاصة البيت الحرام والمسجد النبوي، ولأن بلاد العرب تمثل واسطة العالم الإسلامي .

وقد حاول ابن حوقل في دراسته للأقاليم أن يبرز شخصيتها كما تسعى إلى ذلك الجغرافيا الحديثة ، وهذا ما اتضح في قوله: " وقد حررت ذكر المسافات واستوفيت صور المدن وسائر ما وجب ذكره .. وأعربت عن مكان كل إقليم مما ذكرته، اتصال بعضه ببعض ومقدار كل ناحية في سعتها وصورتها، من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث، وسائر ما يكون عليه أشكال تلك الصورة والعمل وموقع كل مدينة من مدينة تجاورها وموضعها من شمالها وجنوبها، وكونها بالمرتبة من شرقها وغربها ليكتفي الناظر ببيان موقع كل إقليم وموضعه ومكانه، وما توحيه من ترتيبه وأشكاله وقصصه من أحواله وأخباره. وقد يقع له فيما كان يعتقده شك في طول الأرض وكبرها، وحالها في تذارب عرضها وطولها وصغرها " (٣٩).

ومما يوضح العلاقة بين الإقليمية كمنهج والخريطة أن ابن حوقل اعتمد في توزيع مادته العلمية اعتماداً تاماً على الخرائط، وبمنهج واضح محدد، يبدأ بوصف كل منطقة وما بها من مظاهر طبيعية كالجبال والأنهار والمدن وأنشطة السكان، ووصف الطرق والمواصلات محدداً أطوالها واتجاهاتها ، وما يقع عليها من محلات عمرانية وخاصة المدن شكل (٣) ، ثم عرض الحياة السياسية والاجتماعية والدينية، ومثل هذا الترتيب يراه الباحث ملائمة للغاية لأن يفسح المجال لضم أية مادة علمية جديدة مأخوذة عن الرحالة أو عن الوثائق الرسمية، وهذا ما اتضح في دراسة ابن حوقل لأقسام إفريقيا وأسبانيا .

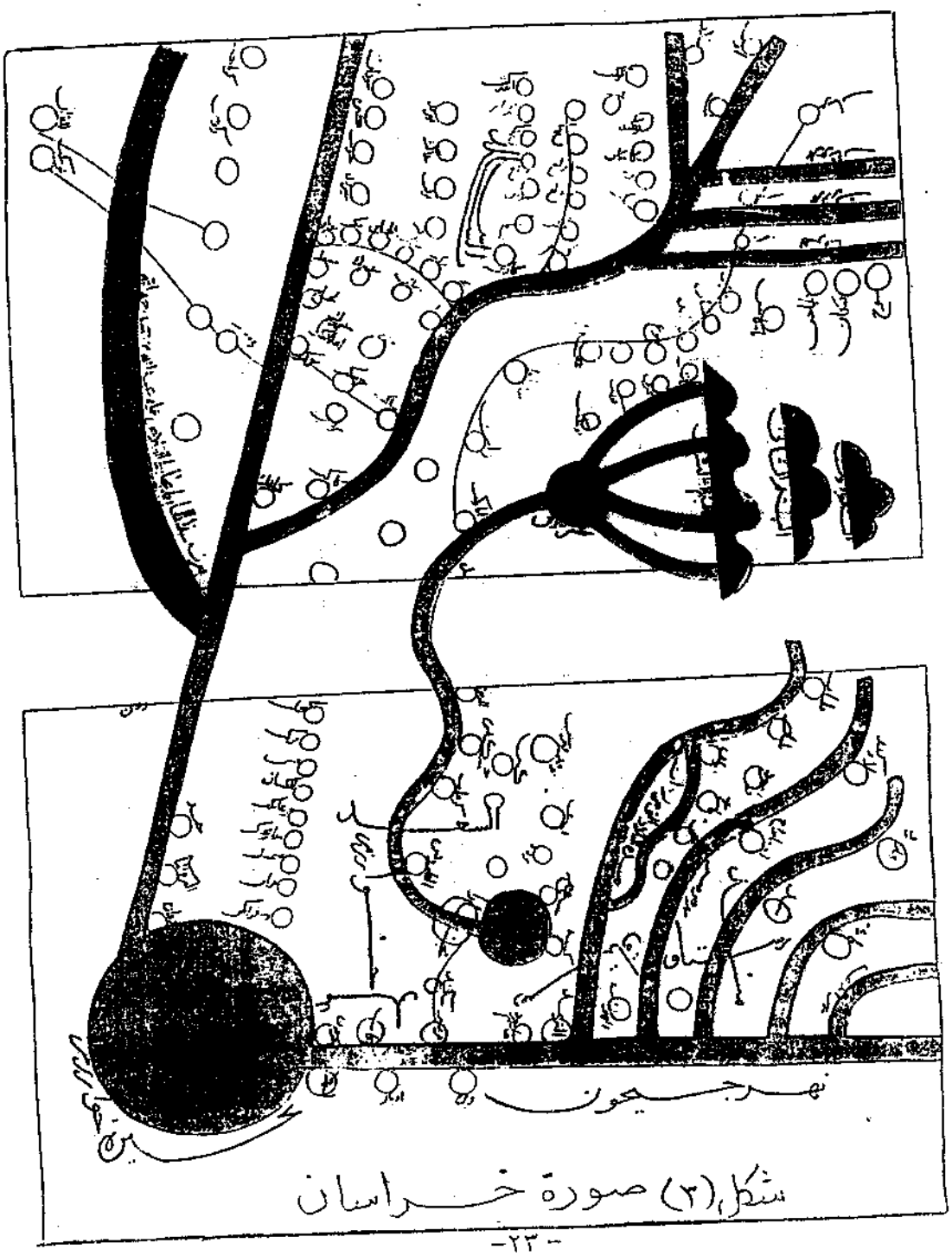

شكل (٣) صورة خراسان

ثانياً : إبراز العلاقات المكانية للأقاليم :

تعتبر العلاقات المكانية من أكثر الجوانب الجغرافية التي استعان بها ابن حوقل في وصف الأقاليم ، شأنه في ذلك شأن الجغرافيين السابقين أمثال البلخي والأصطخري والهمداني ، وهذه العلاقات المكانية والتي تقابل المواقع الجغرافية تحدد بدقة المكان محل الدراسة أو الإقليم وما يجاوره من أقاليم أخرى أو ظاهرات طبيعية تمثل حدوداً لهذا الإقليم مثل: البحار والأنهار والجبال والصحاري، وهذا الموضوع كان هدفاً لابن حوقل كما ذكر في مقدمته " أن الهدف هو تحديد موقع كل مدينة من مدينة تجاورها وموضعها من شمالها وجنوبها، وكونها بالمرتبة من شرقها وغربها ليكتفي الناظر ببيان موقع كل إقليم وموضعه ومكانه " (٤٠).

وتأتي أهمية هذه العلاقات المكانية من كونها تمثل أبرز معالم الأقاليم الجغرافية ، وهذا واضح في حديثه عن مصر فقال : " فأما مصر فلها حد يأخذ من بحر الروم [البحر المتوسط] من الأسكندرية، ويزعم قوم من برقة في البرية، حتى ينتهي إلى ظهر الواحات ويمتد إلى بلد النوبة [جنوب مصر] ، ثم ينعطف على حدود النوبة من حد أسوان على أرض البجه [جنوب القصير] في قبلي أسوان حتى ينتهي إلى بحر القلزم [البحر الأحمر]، ثم يمتد على بحر القلزم ومجاور القلزم إلى طور سيناء وينعطف على تبة بني إسرائيل [هضبة التيه وسط سيناء] ماراً إلى بحر الروم في الجفار [شمال سيناء حالياً] خلف رفح، ويرجع على الساحل ماراً على بحر الروم إلى الأسكندرية ويتصل بالحد الذي قدمت ذكره من نواحي برقة بليبيا " (٤١) .

شكل (٤)

وهذه الحدود بمقارنتها بالوضع الحالي تكاد تتفق مع الحدود السياسية الحالية، مما يبرز تطور التفكير الجغرافي والمعرفة الجغرافية عند ابن حوقل، وهذه الدقة ليست قاصرة على موقع مصر الجغرافي ، بل نجدها كذلك في دراسته لإقليم [خوزستان] شكل (٥)، وهي المنطقة الواقعة حالياً جنوب غرب إيران وغرب جبال

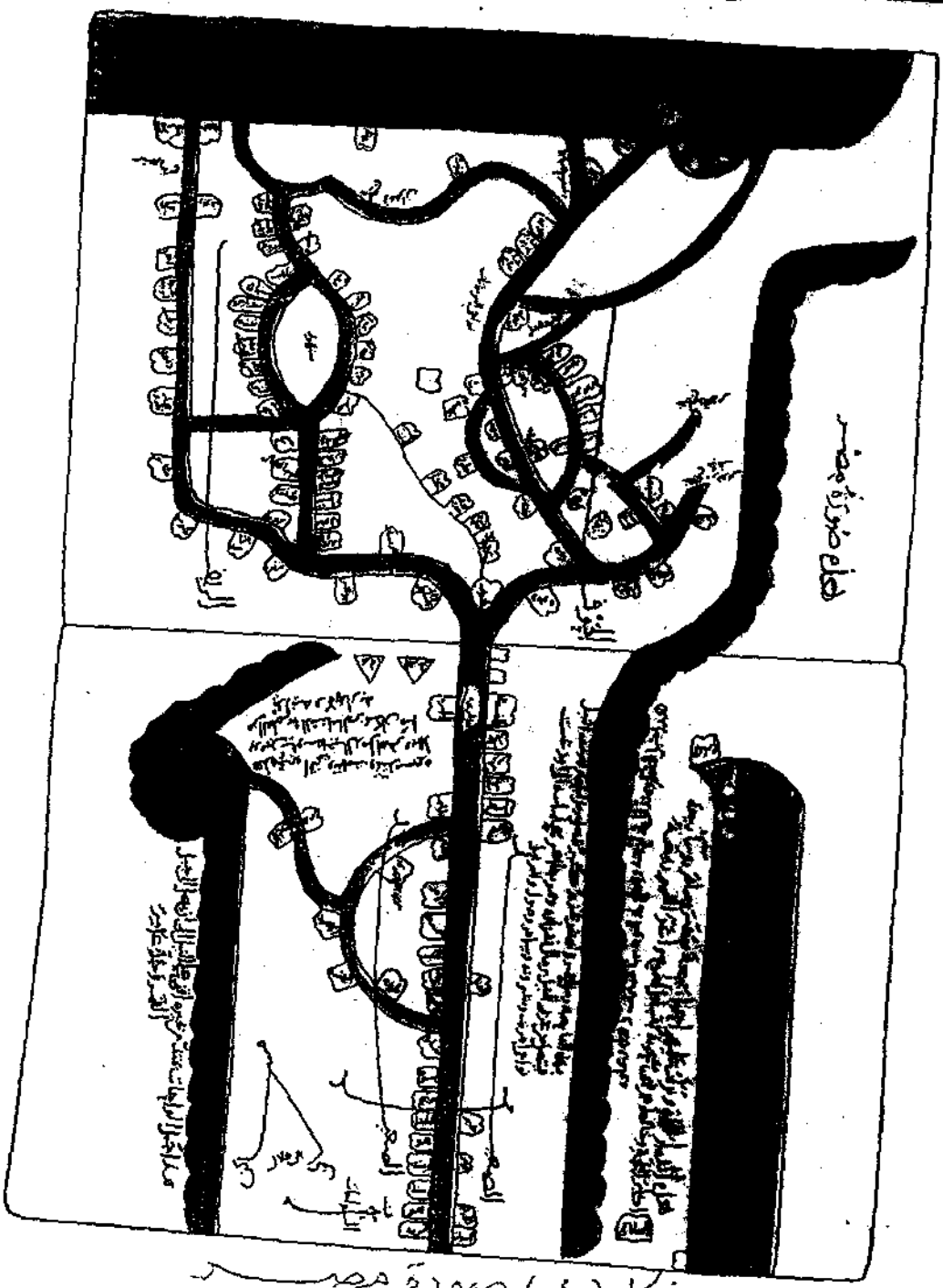

شكل (٤) صورة مصر

-٢٥-

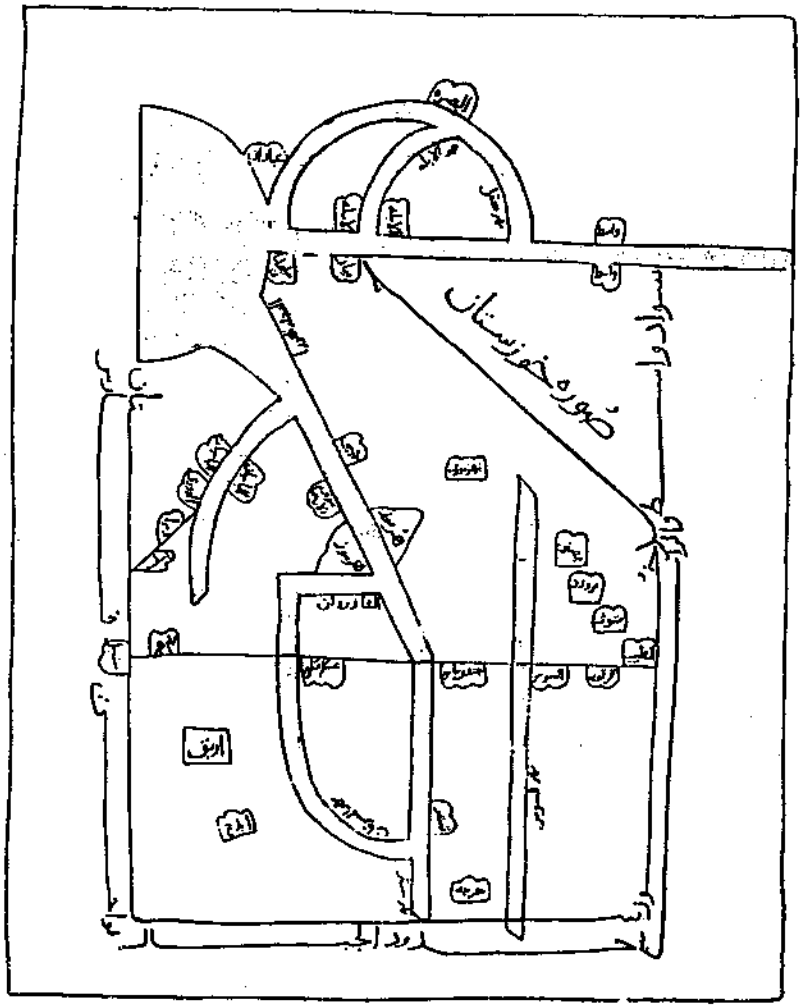

شكل (٥) صورة خوزستان

زاجروس ، ولقد بين حدودها بدقة مستعيناً في ذلك بما يجاورها من أنهار مثل دجلة، وجـبال مثل زاجروس، والخليج العربي، وما يتصل بهذا الإقليم من محملات عمرانية مثل: بيان ومذار وعبادان (٤٢).

لـم يهمـل ابن حوقل المسافات بين الأقاليم وبين محلاتها العمرانية، والطرق التي تربط فيما بينها ، ومن الأمثلة على ذلك : ديار العرب فقال: "وأما المسافات بديار العرب فإن الذي يحيط بها من عبادان إلى البحرين نحو أحد عشرة مرحلة [والمرحلة : هـي طـول الطـريق، أي مراحل السفر وتفيد في معرفة الطرق وخاصة الطرق الصـحراوية] ، ومن البحرين إلى عُمان نحو شهر، ومن عُمان إلى أوائل مهره نحو مائـة فرسخ " (٤٣) ، والفرسخ طبقاً لتقدير علماء اللغة ساعة من النهار أو ثلاثة أميال هاشـمية (٤٤) ، أما الطرق فاهتمامه بها ودقته في تحديدها يرجع إلى نشاطه التجاري والسياسي، وإدراكه لأهمية الطرق ودورها في السيطرة على أطراف العالم الإسلامي، وهي المسالك إلى الأماكن المقدسة وخاصة في أوقات الحج والعمرة، ومن أهم شبكات الطرق التي وصفها ابن حوقل طرق بلاد العرب ، كالطريق من المدينة إلى الكوفة ، وطـول هذا الطريق عشر مراحل، وطريق من الكوفة إلى مكة وهو أقصر من الأول بنحو ثلاث مراحل .

ويرى الباحث أن الصورة التي رسمها ابن حوقل لشبكة الطرق تغني في كثير مـن الأحيان عن الخريطة لدقتها، وهذا واضح مما ذكره عن الطريق من الكوفة إلى مكـة فقال : " إذا انتهى إلى معدن النقره عدل عن المدينة حتى يخرج على معدن بني سليم، ثم إلى ذات عرق حتى ينتهي إلى مكة . وأما طريق البصرة فإلى المدينة ثماني عشرة مرحلة، ويلتقي مع طريق الكوفة بقرب معدن النقره .. ، وإليه من ناحية الشام أول حـدود الـبادية ، ولأهل مصر وفلسطين إذا جاوزا مدينة طريقان : أحدهما إلى المدينـة .. وطـريق يمضـي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة يجتمع بها أهل العراق ودمشق وفلسطين وأهل مصر .. " (٤٥) . شكل (٦)

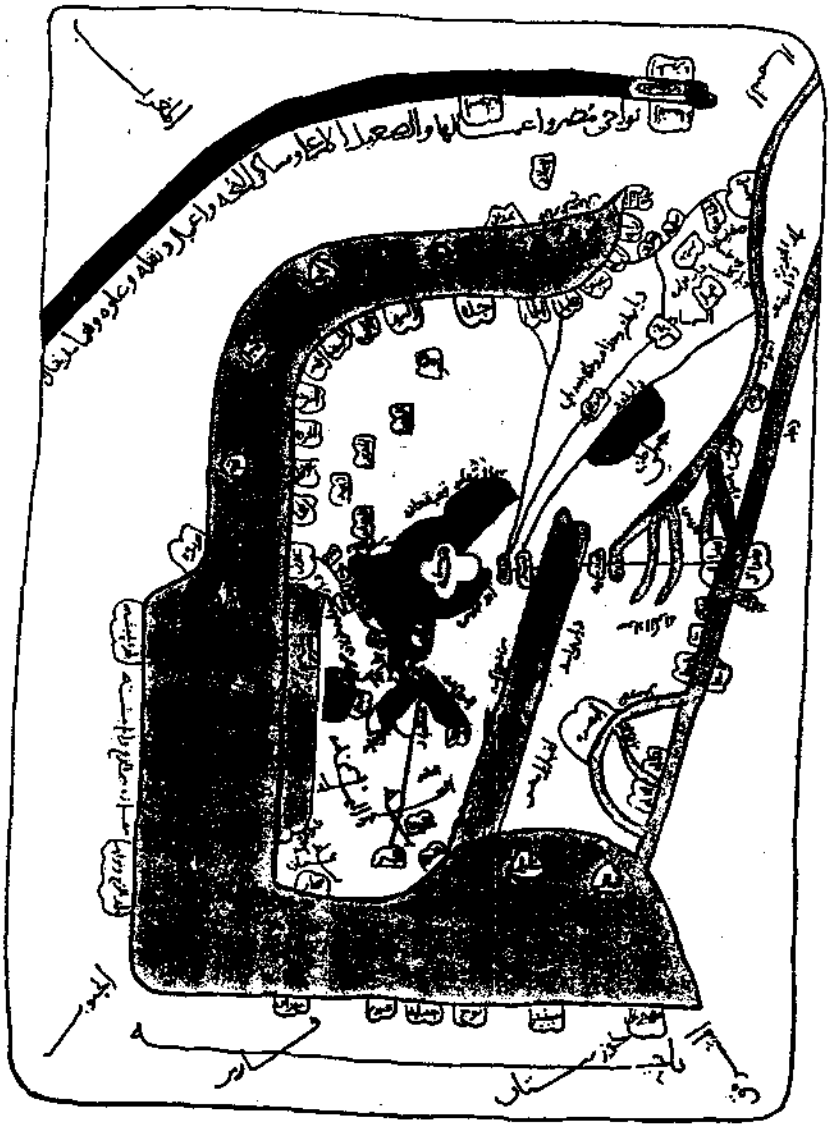

شكل(٦) ديار العرب

كمـا أبـرز ابن حوقل هذه المواقع الجغرافية من خلال الخرائط التي رسمها للأقاليم الرئيسية والفرعية، وهذا ما جعل عدد الخرائط التي احتوى عليها كتاب صورة الأرض أكـثر عدداً مما جاءت في كتاب المسالك والممالك للأصطخري، وكانت هذه الخـرائط بالدقـة ؛ لأنهـا قامـت على أساس واسع من المعرفة الجغرافية بالأعلام وحقيقتها، وعلى أساس من التصور السليم للظاهرات الجغرافية [٤٦] . والتي برزت في الـنهاية الـتزام ابن حوقل بالمعلومات الجغرافية والتخلص من الاستطرادات والسرد التاريخي .

ثالثاً : الالتزام بالمعلومات الجغرافية :

جسّـد ابن حوقل في كتاب صورة الأرض ملامح الفكر الجغرافي العربي في العصور الوسطى والنضج الجغرافي لدى الجغرافيين المسلمين، وهذا اتضح من خلال التزامه بذكر الخصائص الجغرافية للأقاليم، والاقتصاد في المعلومات الأخرى ولاسيما المعلومـات التاريخية. وهذه الخصائص تنوعت ما بين طبيعية وبشرية ؛ بحيث يمكن القول: إن أفرع الجغرافيا الحديثة تكاد تكون متمثلة في هذا الكتاب، وخاصة الجغرافيا البشـرية مـا بيـن جغرافية المدن والجغرافيا الاقتصادية والسكان والجغرافيا الدينية والسياسية والجغرافية الاجتماعية إلى جانب الجغرافيا الطبيعية.

ويمكـن أن نسـتنتج أيضـاً أن مفهوم الجغرافيا الإقليمية يتفق إلى حد ما مع المفهـوم الحالـي وخاصـة أن كلا المفهومين يتفقان على أن الجغرافيا الإقليمية تهتم بدراسة الجوانب الطبيعية والبشرية لمكان معين ويمكن اعتبارها جغرافيا عامة. وهذا ما جعل هذا الكتاب أفضل تمثيل للأسلوب العلمي خاصة بين كتابات جغرافي المدرسة الكلاسـيكية [الإقليمـية] ، وصـوره تعـبر عن المفاهيم الجغرافية السائدة في هذه المرحلة، وتلك التي تبناها ابن حوقل [٤٧] .

وتعد المعطيات الجغرافية التي احتواها كتاب [صورة الأرض] وخاصة عن بلـدان العـالم القديمـة وبصفة خاصة الجغرافيا البشرية من أثمن إضافات الجغرافيا العربـية للفكـر الجغرافـي العالمي. وفيما يلي سوف نستعرض المعطيات الجغرافية الطبيعية والبشرية في هذا الكتاب:

أولاً: المعطيات الطبيعية :

لـم تحـظ الجغرافيا الطبيعية بالاهتمام الوافر كالجغرافيا البشرية إلا أن ابن حوقـل حـاول أن يجعل للمظاهر الطبيعية دوراً في إبراز شخصية الإقليم، ومن أهم الظاهـرات الطبيعية التي ذكرها ابن حوقل [**المسطحات المائية**] التي تقع أو يشرف علـيها إقليم الإسلام، ومن أهم هذه البحار طبقاً لما ذكر البحر الفارسي، والذي يقابل حالـياً المحـيط الهندي شكل (٧) ، وبحر الروم [البحر المتوسط] ويقابل بحر الروم النصـف الغربـي مـن هذا البحر، أما النصف الشرقي فكان يعرف ببحر الشام، وقد وصف البحر الفارسي بأنه أكثر اتساعاً وأكبر حجماً من البحر المتوسط، وحدوده من بحـر القلزم [**البحر الأحمر**] حتى حدود الصين شرقاً، وأما بحر الروم أو المتوسط، فقد بيّن أن نقطة الاختلاف بينه وبين الأول هو أنه أكثر انتظاماً وأسهل تحديداً .

أمـا بحـر قزوين والذي عرفه ببحر الخزر فقد تعرف على نوعيته فذكر أنه بحـر مغلق لا اتصال بينه وبين أي بحر آخر، ويمكن الدوران حوله وأن هناك بعض الأنهـار التي تصب فيه [٤٨] ، ومن هذه الأنهار نهر كورا وأراكس وينبعان من جبال القوقاز وجبال بنطس بالإضافة إلى نهر أورال ونهر الفولجـا

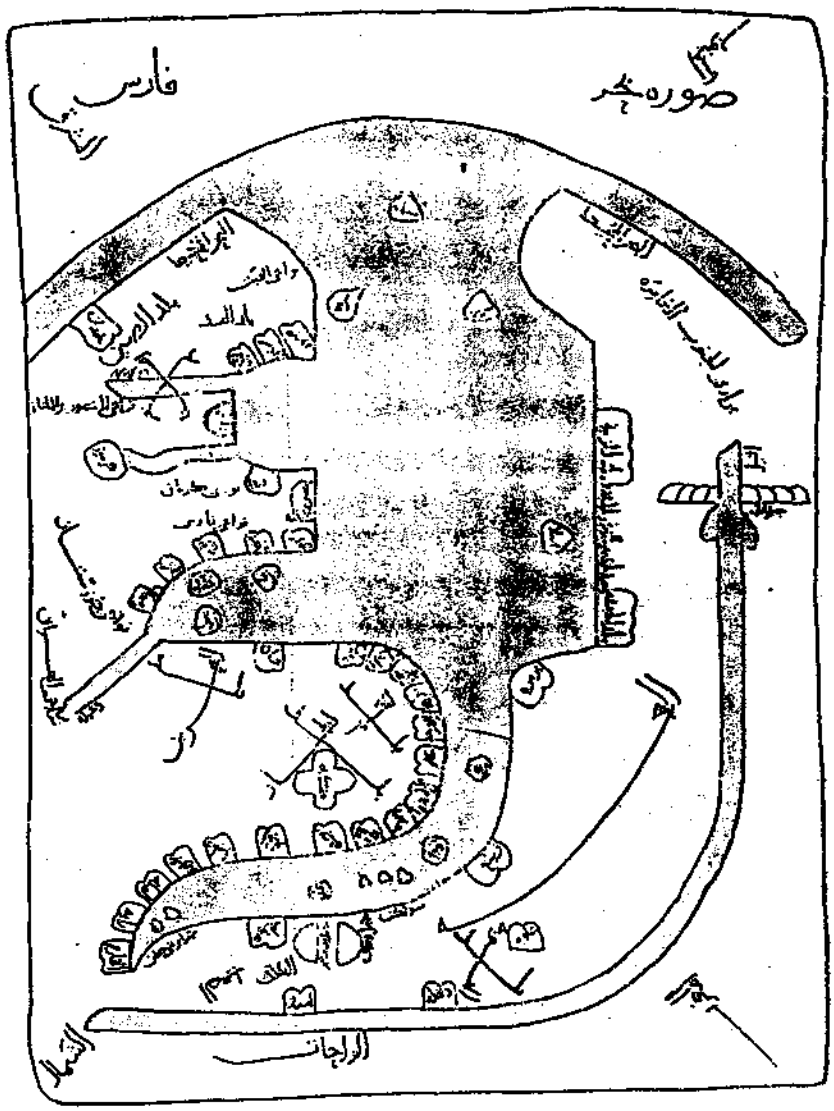

شكل (٧) صورة بحر فارس

وهمـــا أكبر وأشهر الأنهار التي تصب فيه من الشمال والشمال الغربي. ومما يلاحـظ فيما ذكر ابن حوقل عن بحر قزوين أنه تفادى الخطأ الذي وقع فيه الكثير من الجغرافيـــن الســـابقين الذين اعتقدوا أن بحر قزوين متصل ببحر الشمال أي أنه ليس بحراً مغلقاً .

وقد ارتبط بوصف البحار. تحديد أطوالها وعروضها ، فالبحر الأحمر طولـــه نحـــو ثلاثين مرحلة، وعرضه أوسع بثلاث ليال، وهو بحر يؤدي ارتفاع الأمواج فيه إلى صعوبة الملاحة ورسو السفن، وهذا أرجعه إلى التيارات الهوائية التي يتعرض لها هـــذا البحر ، مثل: الرياح الشمالية الغربية التي تنشأ نتيجة لوجود الضغط المنخفض فـــوق هـــذا البحر، والرياح الجنوبية من الجنوب الشرقي، والتي تسبب كثرة الزوابع الراعدة الماطرة العنيفة " (٤٩) .

أمـــا بشـــأن مـــنابع الأنهار وخاصة نهر النيل فقد أخفق ابن حوقل في تحديد مـــنابعه، واعـــتمد على الآراء اليونانية القديمة، وقال : أنه لا يوجد أحد يعرف منابع النيل، والتي أعتقد أنها تأتي من كهف يقع في أراضي زينزبار، وهذا الكهف يوجد في مكـــان يمكن الاقتراب منه ولا يمكن الوصول إليه، ويعتبر الإدريسي [ت ٥٦٠هـــ/ ١١٦٥م] مـــن أشهر الجغرافيين العرب الذين كان لهم السبق في ذكر معلومات دقيقة عـــن مـــنابع النيل في كتابه نـــزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وذكر أنها تأتي من بطائح جنوب خط الاستواء والتي تقابل البحيرات الاستوائية حالياً (٥٠).

ومـــن أهم الملاحظات التي أوردها ابن حوقل وتتفق مع الواقع دراسته لطبيعة المـــياه فـــي منطقة المصب، فالمنطقة التي يلتقي فيها نهر النيل بالبحر المتوسط تقل درجـــة ملوحتها وتميل إلى العذوبة وسرعان ما تزداد نسبة الملوحة كلما توغلنا بعيداً عن المصب (٥١) .

وتعـــد الجـــبال من أهم المظاهر الطبيعية التي ذكرها ابن حوقل والتي مثلت حدوداً طبيعية تفصل بين الأقاليم، وظاهرة تنفرد بها مثل: إقليم الشام فقال : " .. وبين

ثغـور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام، وهو الفاصل بينهما، وجبل اللكام جبل داخل فـي بلـد الـروم ومتصـل بجميع جبال بلاد الروم .. ويسمى للكام إلى أن يجاوز اللاذقـية " [٥٢] . وهـذا الجبل يطلق عليه حالياً العديد من الأسماء المحلية منها: جبل بشـرى، وجـبل أبـو رحمين، وجبل الشاعر والشومرية ، وجبل أنصارية والزاوية والأقـرع ، وتقـع هذه الجبال بسوريا ما بين منطقة الجزيرة في الشرق [بين العراق وسوريا] وساحل البحر المتوسط عند اللاذقية .

وقد أخطأ ابن حوقل فيما ذكر بشأن اتصال جبل لبنان بالمقطم بمصر، ويستمر فـي اتجاهـه جنوباً حتى بحر القلزم [الأحمر] مما يعني أنه أوصل جبال لبنان بجبل الخلـيل بفلسـطين وجعلهـا تمتد حتى جبال سيناء الجنوبية وخليج السويس، وبما أن المنطقة الغربية للخليج منطقة صحراوية اعتبرها امتداداً لهذا الجبل وحتى جبل عتاقة بالسويس، والذي اعتبره متصل بجبل المقطم شرق القاهرة. شكل (٨)

كمـا حـدد موقـع عقدة البامير بوسط آسيا التي يتفرع منها جبال الهيمالايا، وتحـتوي علـى هضبة التبت، وهذه السلسلة – كما ذكر – تبدأ من البحر المحيط في الشرق [المحيط الهادي]، ثم تتجه غرباً حتى تتصل بجبال زاجروس وكردستان ، وقد اعـتقد أيضـاً أن جبل المقطم متصل بهذه السلسلة، وهذا الجبل يسير شرق النيل من الشمال إلى الجنوب حتى النوبة، بل يمتد حتى منابع النيل ثم يتجه غرباً حتى سواحل المحيط الأطلنطي[٥٣]. شكل (٩)

وعلى الرغم من الأخطاء التي وقع فيها ابن حوقل عند وصفه للسلاسل الجبلية إلا أن مـا ورد بشـأنها مـن معلومات توضح الإلمام الكامل بما يوجد من ظاهرات طبيعـية فـي العـالم الإسلامي والمناطق المجاورة له، وتوضح مدى تطور المعرفة الجغرافية لديه ، وقدرته على الوصف الجغرافي .

ويُعد المناخ من الظاهرات الطبيعية التي حاول ابن حوقل أن يربط بينها وبين الظاهرات البشرية، ومن أهم عناصر المناخ التي ذكرها ابن حوقل [الرياح ودرجة

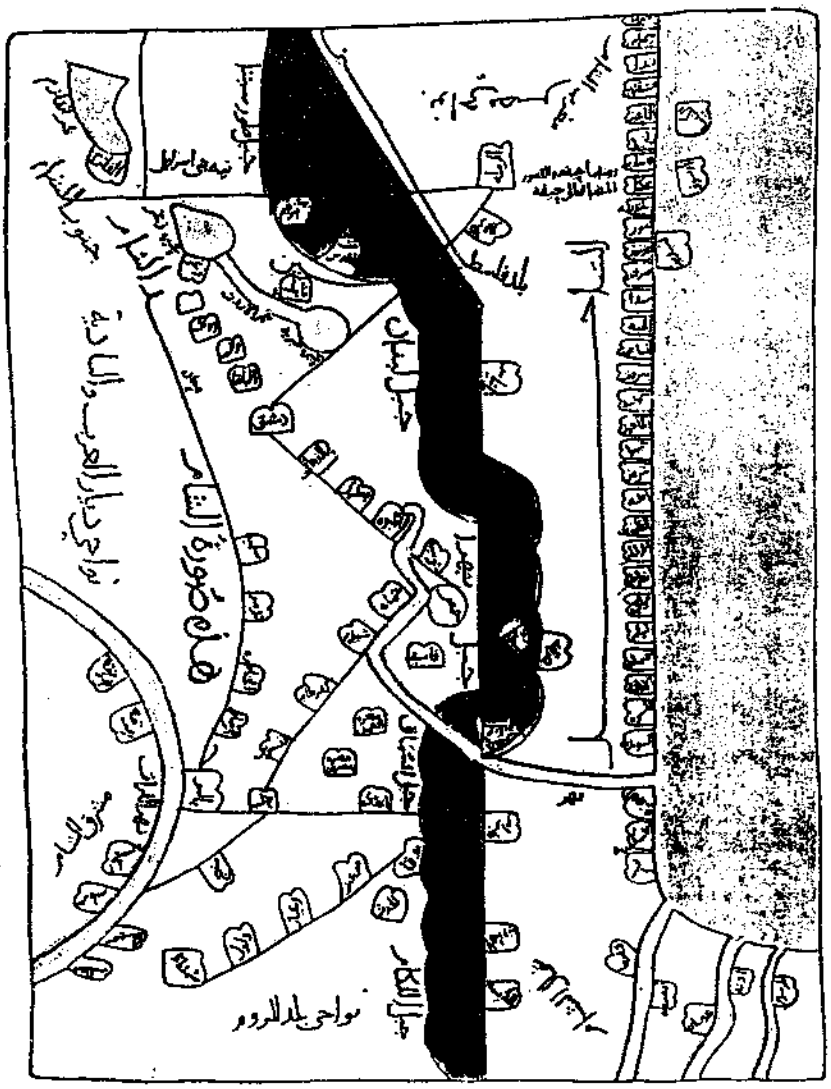

شكل (٨) صورة الشام

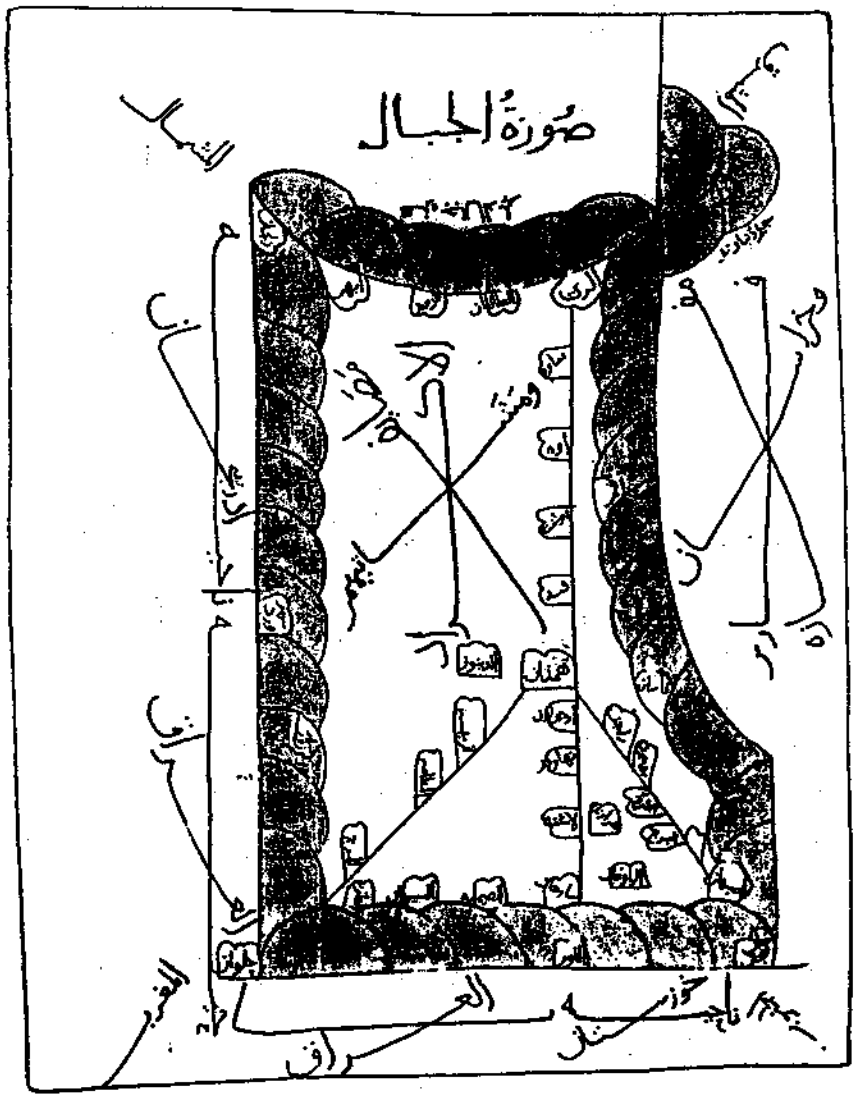
صورة الجبال
الشمال
المغرب
بحر فارس
بحر الخزر
بحر القلزم
بحر الهند
بحر الصين
بحر الزنج
بحر الحبش
بحر الروم
بحر الخزر
بحر الصين
بحر الهند
بحر القلزم
بحر الحبش
بحر الزنج
بحر الروم
بحر فارس

شكل (٩) الجبال

الحرارة] ، ومن أهم الظاهرات البشرية التي لها علاقة بالمناخ انتشار الأمراض، ففي دراسته لليمن ذكر أنه لا توجد مدينة أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً من صنعاء، وهو بلد كمـــا قال يقع على خط الاستواء، ولكن معتدل في مناخه بحيث لا يتحول الإنسان عنه صيفاً أو شتاءً، ويكاد يتساوى فيه الليل والنهار؛ لأن محور الشمس عليه معتدل، وعدم سطوع الشمس بها يؤدي إلى انتشار مرض الجذام [٥٤] .

وقد توصل ابن حوقل إلى حقيقة جغرافية ثابتة إلى يومنا هذا، وهي أن المناخ يـــتحدد دائماً بالموقع الفلكي أي الموقع حسب دوائر العرض، والمناخ من وجهة نظره يحـــدد مناطق تركز السكان أو الاستقرار البشري، فالمناطق الشمالية أكثر اعتدالاً من الجنوب على حد تعبيره، ومن ثم العمران جميعه في الشمال ويزداد تركزاً كلما اتجهنا شمالاً مع انخفاض درجة الحرارة، والعكس جنوباً حيث أرجع ذلك إلى القرب من خط الاســـتواء، ومن ثمّ فهو شديد الحرارة، وتزداد درجة الحرارة بالاتجاه جنوباً لقربه من الشمس .

وهذا يعني عدم إدراك الحقيقة الجغرافية التي يعرفها الجغرافيون حالياً، وهي تـــناظر الأقاليم المناخية شمال وجنوب خط الاستواء، وأن الحرارة تقل بالبعد عن خط الاستواء جهة الجنوب كما في الشمال.

القضـــية الأخرى التي يجب الإشارة إليها هو موضع مرور خط الاستواء، أو كمـــا أسماه خط الصفر، فقد اعتقد ابن حوقل أنه يمر من غرب إفريقية إلى مصر، ثم يمـــتد إلى الخليج الفارسي [الخليج العربي] حتى هندستان ، وأواسط إقليم الإسلام في آســـيا، وهنا جانبه الصواب حيث جعل خط الاستواء يقع شمال موقعه الحالي بحوالي ٢٠ درجة طبقاً لما ذكر، لأن حدود مصر الجنوبية تتمشى مع خط عرض ٢٢ درجة شمالاً ، وهذا يخالف أيضاً ما ذكره عن اليمن؛ إذ اعتبرها دولة استوائية ، وهذا يعني اعتقاده أن خط الاستواء يمر جنوب الموقع الذي حدد وهو جنوب مصر.

وعلـــى غـــرار الحتميـــن ربط ابن حوقل بين الصفات السلالية وبين المناخ وخاصة درجة الحرارة، فكلما اتجهنا صوب الجنوب كلما ازدادت البشرة سواداً، وكلما اتجهـــنا شمالاً من خط الاستواء زادت البشرة بياضاً حيث المناخ البارد، ففي اصطخر [جـــنوب غـــرب إيران حالياً] ، حيث المناخ الصحي واللطيف يتسم سكانه بالسمنة والشـــعر الكثيف عن سكان الأقاليم الحارة، كما أن تقاطيعهم أدق منهم، أما في الأقاليم الحـــارة جـــنوب خط الاستواء مثل: منطقة دربجان فالسكان ضعيفو البناء [٥٥] ، وهذا يخالف القواعد الوراثية التي ثبت علاقتها بلون البشرة على درجة الحرارة، وقد سبق ذكر ذلك .

وهـــناك علاقـــة أيضاً بين المناخ والزراعة، وقد استدل على ذلك من دراسته لإيـــران التي قسمها إلى قسمين: شمالي وآخر جنوبي أحدهما بارد وهو القسم الشمالي لا تنضج فيه الفاكية ولا يزرع فيه القمح، عكس القسم الجنوبي الحار [٥٦] ، وهنا ربط بين درجة الحرارة ومدى سطوع الشمس وبين نضج الفاكهة والزراعة ، وهذه العلاقة أثبتها العلم في العصر الحديث فربط بين أشعة الشمس والبناء الضوئي للنبات، وكذلك نمو المحاصيل ، حيث إن لكل محصول درجة حرارة معينة ينمو فيها .

ثانياً: المعطيات البشرية :

أولى ابن حوقل الجغرافية البشرية اهتماماً يفوق اهتمامه بالجغرافيا الطبيعية، وقـــد وضـــح مجال دراساته البشرية في مقدمة كتابه بقوله : " .. دراسة اختلاف أهل الـــبلدان فـــي كلامهم وألسنتهم، مكاييلهم وأوزانهم ونقودهم وما يحمل عندهم وإليهم، وشـــرابهم وثمـــارهم ومياههم وصفة طعامهم، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم ، ووصف المدن وطبيعة أسوارها ومواقعها والطرق التي تربط فيما بينها " [٥٧] .

ويستخلص الباحث من ذلك أن أفرع الجغرافيا البشرية التي تعرف اليوم تكاد تكـــون متمثلة في كتاب صورة الأرض، وهذه الدراسات البشرية استخدمها ابن حوقل فـــي بيان شخصية الأقاليم الجغرافية، وتعد جغرافية العمران وخاصة المدن بالإضافة

إلى الجغرافيا الاقتصادية من أهم الدراسات البشرية في هذا الكتاب . ومن الأمثلة التي توضـــح ذلـــك دراسته لإقليم المغرب حين قال : " وقد صورت مدنه وذكرت أعماله وارتفاعها وما فيها من التجارات والمجالب إلى ما سوى ذلك " (٥٨) .

والملاحظ عند دراسته للنشاط التجاري للأقاليم نجده يتبع المنهج التاريخي حتى يعطي هذه الدراسة الحركة والعمق، فذكر الطرق القديمة كما هي طرق غرب إفريقية ومحدداً اتجاهاتها ، فهي تبدأ من البحر المحيط [الأطلنطي] كما هو الطريق بين دبرته وبـــلاد الـــزنج عبر الصحراء الكبرى . وقد بيّن أن هذه الطرق كانت قديماً مسلوكة بـــالقوافل الـــتجارية، وخاصة من المغرب إلى سلجماسة [تقع حالياً على الحدود بين الجزائـــر والمغـــرب] (٥٩)، ولكـــي يوضح أهمية هذا الطريق ذكر خلفيته التاريخية وأهميـــته لـــدول المشرق والمغرب الإسلامي " فأهل العراق وتجار البصرة والكوفة وبغداد كانوا يقطعون هذا الطريق هم وأولادهم وتجارتهم.

وقـــد وصف ابن حوقل شبكة الطرق الرئيسية والفرعية على اختلاق أنواعها فـــي كـــل إقلـــيم، واهتمامه بهذه المسالك نابع من أهميتها السياسية والتجارية والدينية وانعكـــاس لأهمية الرحلة ودورها في تطور المعرفة الجغرافية، ومن أهم الطرق التي احـــتوى علـــيها كتابه [**الطريق من المسيلة إلى فاس بالمغرب**] ، وهو طريق مائي [نهري]، ويمر هذا الطريق في نهر عظيم يصب في وادي فاس حتى يصل إلى البحر [المتوسط] وهو نهر بجاية والمسيلة بالجزائر حالياً.

ومن الطرق البرية أيضاً طرق إقليم أرمينيه وأذربيجان والران، وقد حدد طول هـــذه الطرق مستخدماً المقياس الزمني [المرحلة] فقال : " .. فمن أردبيل [شمال غرب إيران] إلى قنطرة سبيزرود مرحلة ، ومن سبيزرود إلى سراه مرحلة، ومن سراه إلى توى يوم ... وإلى الجهينة مرحلة، ومنها إلى سبيبه مدينة أزلية كثيرة المياه والأجنة، ومـــنها إلى مرجاجنه قرية مرحلة وهي الهوارة .. ويتصل هذا الطريق بطريق مجانة

إلى تيجس فيمر عليه إلى بونه، ومن أحب منه إلى القسطنطينية إلى مسيله إلى سطيف [شمال الجزائر] إلى المسيلة وصل إليها " (٦٠).

ومما يميز دراسة ابن حوقل الإقليمية ويبرز دقتها في رسم الصورة الجغرافية للمكان، وتحديد المواقع الجغرافية للحملات العمرانية بدقة – ذكره المسافات بين الأماكن، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما ذكره عن اليمن والأندلس، فالمسافة بين الشرجة وعدن على ساحل البحر [خليج عدن] وأرض تهامة تقدر باثنتي عشرة مرحلة .. ومكة مدينة فيما بين شعاب الجبال، وطولها من المحلاء إلى المسفلة نحو ميلين، وبإقليم الأندلس المسافة بين قرطبة ومراد مرحلة، ومن مراد إلى غرغيرة مرحلة، ومن غرغيره إلى أشبيلية يومان ، ومن أشبيلية إلى لبلة يومان .. " (٦١).

وخلاصة القول: إن كتاب **صورة الأرض** جسّد مجال دراسة الجغرافيا بمفهومها الحالي وهو المكان أياً كانت حدوده، وحسب تعريفات واتفاق الجغرافيين فإن هذا المكان حتماً يشمل دراسات بشرية وطبيعية وإلا لأصبحت الدراسة الجغرافية ضمن العلوم الطبيعية كالجيولوجيا والميترولوجيا والنبات .. إلخ ، كما يتفق ذلك مع مفهوم كل من بريستون جيمس وكلارنس جوتر بأن الجغرافيا تعني بدراسة الظواهر المختلفة التي تعطي سمة لأماكن معينة، كما تعني بأوجه الشبه والاختلاف بين الأماكن (٦٢) .

من جهة أخرى فقد أتى هذا الكتاب بالكثير من المعلومات الأولية عن البلدان الإسلامية التي لم ترد في كتاب **المسالك والممالك** الذي ألّفه الأصطخري، كما تميز كتاب **صورة الأرض** بقلة الاستطرادات غير الجغرافية (٦٣) ، والدقة في تحديد المواقع، كما اتضح من دراسته لإيران، حيث حدد موقعها الجغرافي ومواقع ما بها من مدن وقرى وطبوغرافيتها وأنهارها وإنتاجها الزراعي والصناعي ونشاط سكانها التجاري .

كما امتدت دقته إلى بلدان إفريقية والأندلس وشبه الجزيرة العربية ، مما يعني أنه أكمل البناء العلمي الذي بدأه من سبقه من جغرافي المدرسة الكلاسيكية، واستوفى

الدراسة الإقليمية للعالم الإسلامي، وصور أقاليمه وحدد مدنه وقراه وجباله وأنهاره وصحاريه وحدوده في أطلس للخرائط سمي بأطلس الإسلام، وكان أول الأطالس الجغرافية التي عكست فن الخرائط عند الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى .

رابعاً : الاهتمام بالخرائط :

اقترنت المؤلفات الجغرافية العربية منذ بدايتها بالخريطة، غير أن نمط الخريطة الذي ارتبط بالمصنفات الإقليمية يختلف عن ذلك النمط الذي ظهر في بدء بزوغ فجر الجغرافيا العربية في عهد تأثرها بالفكر الإغريقي التي استندت إلى الحسابات الفلكية مثل: الخرائط المأمونية، أما الجغرافيون الإقليميون فقد استخدموا منهجاً جديداً في رسم الخرائط، وقد ظهر ذلك جلياً في كتاب صورة الأرض [٦٤] موضوع الدراسة .

وقد استخدم ابن حوقل تعبير الصورة بديلاً عن الخريطة، وهذا واحدٌ من العديد من المصطلحات التي استخدمت من قبل مثل " الرسم " و "لوح الترسيم " و "الجغرافيا" ، وهذه الخرائط التي احتوى عليها كتاب صورة الأرض أقرب إلى الصور التوضيحية الهندسية لأنها لم تقوم على الحسابات الفلكية، ولكنها حاولت توقيع الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية، وتوضيح حدود الأقاليم سياسياً وإدارياً .

ولكي يوصل لنا ابن حوقل اهتمامه بالخرائط ذكر في مقدمة كتابه أن رسم الخرائط جزء أساسي من منهجه الدراسي فقال : " وقد حررت ذكر المسافات واستوفيت صور المدن وسائر ما وجب ذكره، واتخذت لجميع الأرض التي يشتمل عليها البحر المحيط الذي لا يسلك صورة تضاهي صورة القوانيان من جهة وتخالفها في مواضع ومقدار كل ناحية في سعتها وصورتها ... وسائر ما يكون عليه أشكال تلك الصور والعمل، وموقع كل مدينة من مدينة تجاورها وموضعها من شمالها وجنوبها، وكونها بالمرتبة من شرقها وغربها ليكتفي الناظر ببيان موقع كل إقليم وموضعه ومكانه " [٦٥] .

وفـــي مكـــان آخر ذكر منهجه في رسم الخرائط فقال : " وجعلت لكل قطعة أفـــردتها تصويراً أو شكلاً يحكي موضع ذلك الإقليم مع ذكر ما يحيط به من الأماكن والـــبقاع ، وما في أضعافها من المدن والأصقاع وما لها من القوانين والارتفاع، وما فيها من الأنهار والبحار " [٦٦] .

وهـــذا يعنـــي أن ابـــن حوقـــل اســـتوعب المصادر السابقة ، وذلك بعد النقد والتمحيص والتدقيق والاعتماد على الرؤية والمشاهدة وجمع المعلومات من الحقل من خلال الرحلات والزيارات والسؤال[٦٧] ، وخاصة تلك الخرائط التي تنسب للقرن الثالث الهجري [الخوارزمي] ، وهي الخرائط التي تنسب إلى بطليموس .

ويوضح هذا المنهج أيضاً تأثر ابن حوقل بالأصطخري مما يعني أن خرائطه كانت هيكلاً أساسياً للأطلس الذي احتوى عليه كتاب [صورة الأرض]، ولكن إضافات ابـــن حوقل جعلت منه مؤسساً للمدرسة المجددة في هذا المجال، وقد ظهرت إضافاته بوضـــوح في خرائط المغرب الإسلامي، وخريطة مصر الذي جعلها قسمين بدلاً من واحد ليوضح عليها الكثير من التفاصيل، وتكون هناك الفرص لكي لا تزدحم الخريطة وتطمـــس المعلومات الواجب إبرازها [٦٨] ، وقد أورد خريطة مصر في جزئين الأول للدلتا والثاني للصعيد ، بالإضافة إلى خرائط كل من بحر الروم وخراسان. شكل (١٠)

وهـــذا يعنـــي كثرة ما توفر لديه من مادة علمية ناتجة عن الأسفار والرحلات التـــي قام بها، ويوضح الهدف من دراسته وهو تصوير المدن، وبيان مواقع الأمصار وتجاور الأقاليم والأصقاع" [٦٩] .

وممـــا يحســـب لابـــن حوقل أنه حاول تجنب أخطاء السابقين وخاصة أخطاء الأصـــطخري وبطليموس مما يعني أن الأطلس الذي رسمه للعالم الإسلامي رسم على أساس واسع من المعرفة، والتصور السليم للظاهرات الجغرافية، وأهم الملاحظات في هـــذا الشـــأن ما نسب إلى بطليموس بشأن خرائط بحر الخزر [قزوين] ، وقد بيّن ابن حوقل هذا الخطأ فقال: " فأما بحر الخزر فليست له مادة من شيء من هذين البحـــرين

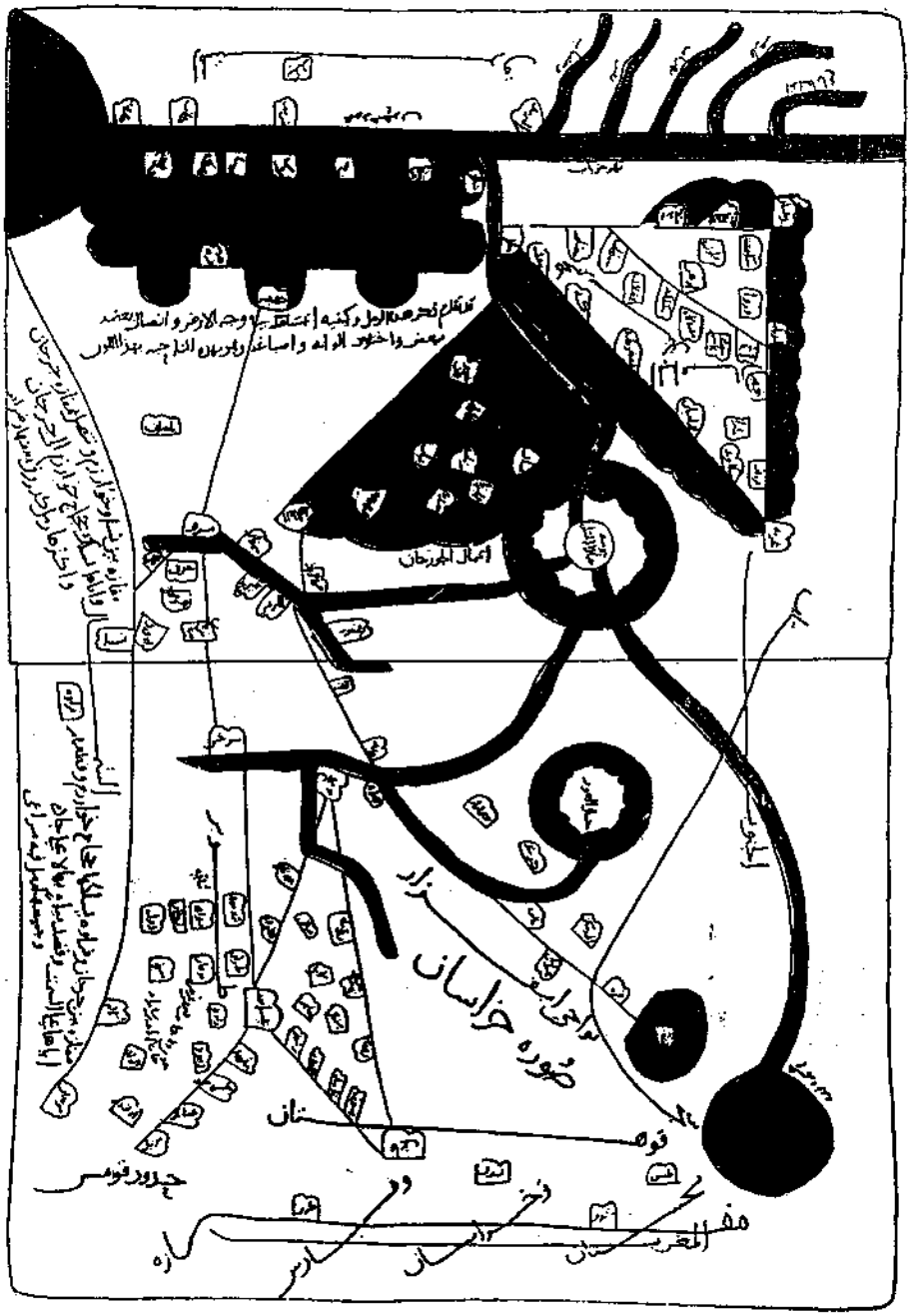

شكل (١٠) صورة خراسان

[بحر فارس وبحر الروم] [الخليج العربي والبحر المتوسط] اللذان يأخذان من البحر المحيط [المحيط الهندي أو المحيط الأطلنطي] ... وقد حكيت عن هذا البحر حكايات كثيرة عن كبار المؤلفين، ولقد قرأت في غير نسخة الجغرافيا أن يستمد من بحر الروم عن بطليموس ، وأعوذ بالله أن يكون مثل بطليموس يذكر المحال ليصف شيئاً بخلاف مـــا هو عليه "[٧٠]. مما يعني أن ابن حوقل كان على علم بهذا البحر وحدوده وماديته مـــن خـــلال الـــرؤية الشخصية، كما أنه كان على دراية بكتاب الجغرافيا الذي كتبه بطليموس. شكل (١١)

كما ظهر التجديد عند ابن حوقل في دراسته الإقليمية للعالم الإسلامي من خلال إبراز أهمية الخريطة في الدراسات الجغرافية ، حيث جعلها الأساس في دراسته، وهذا ما تقول به الجغرافيا الحديثة، يضاف إلى ذلك ترتيب الخرائط في كتابه ترتيباً منطقياً، فقـــد افتـــتح الدراسة بخريطة جامعة للعالم المعروف في العصور الوسطى على هيئة دائـــرة إيماناً بمبدأ كروية الأرض، وحتى يمكن لمن يطلع عليه أن يتعرف على موقع الإقليم الذي يريد معرفته وموقعه من العالم القديم المعمور، وهذا هو المنهج الذي يُتبع حالـــياً ؛ إذ إن العلاقـــات المكانـــية لأي إقليم من أهم الأسس الذي تقوم عليه الدراسة الجغرافـــية كما هو واضح من دراسة كتاب صورة الأرض ، بالإضافة إلى الاستقلال التام في التصوير العام والتنفيذ في رسم الخرائط . شكل (١٢)

كمـــا تعتبر خرائط العالم الإسلامي الذي رسمها ابن حوقل نسيجاً وحداً يحوي دائمـــاً وفـــي نظـــام لا يتغير إحدى وعشرين خريطة، وهي خريطة العالم المستديرة وخـــريطة جزيرة العرب وبحر فارس والمغرب ومصر والشام وبحر الروم، ثم أربع عشـــرة خـــريطة تمثل الأجزاء الوسطى والشرقية للعالم الإسلامي [الجزيرة والعراق وخوزســـتان وفـــارس وكرمان والسند وأرمينيا ومعها آران وأذربيجان؛ أيضاً الجبال وكيلان ومعها طبرستان وبحر الخزر وصحراء فارس وسجستان وخراسان وما وراء النهر] [٧١] . وهذه الخرائط تصور أقاليم العالم الإسلامي خالية من خطوط الطـــول

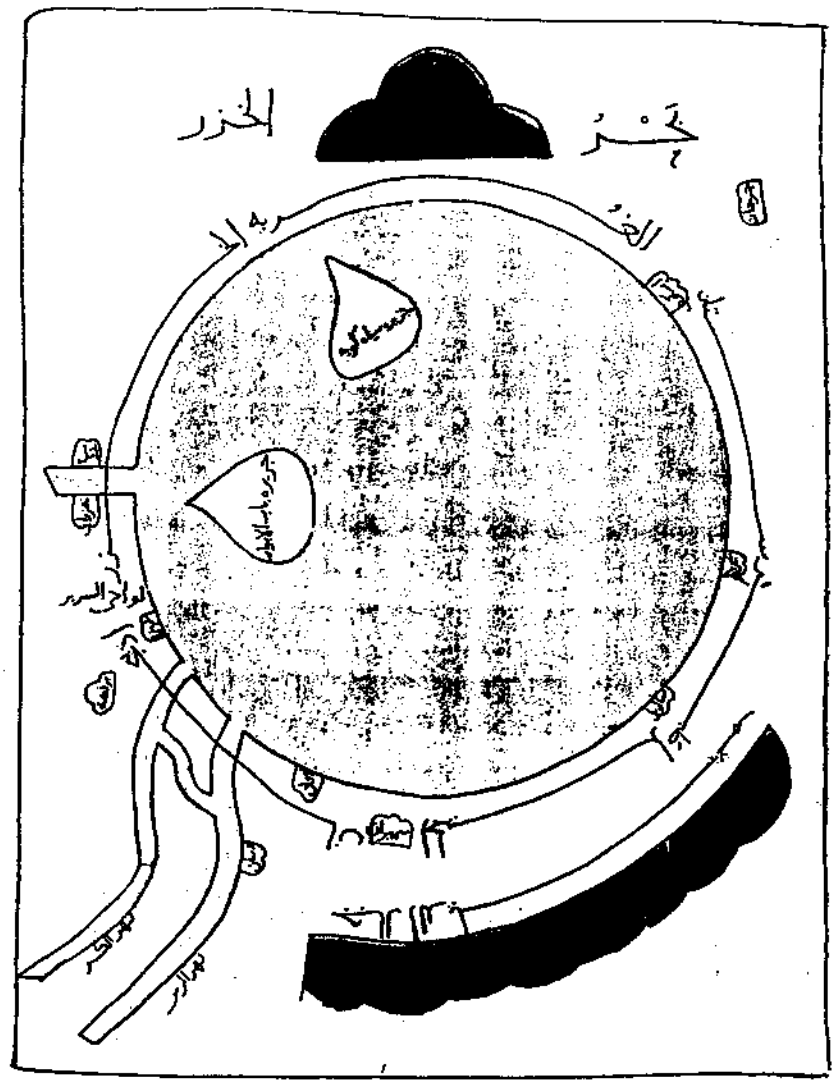

شكل(١١) بحر الخزر

شكل (١٢) صورة الأرض

ودوائر العرض، كما أنها خالية من صور الحيوانات والناس عكس الخرائط الأوروبية التي رسمت في العصور الوسطى، كما أن هذه الخرائط أقرب إلى الرسوم التخطيطية مثل: خريطة مصر والشام وخراسان وفارس [٧٢]. شكل (١٣)

القضـــية المهمة التي يجب توضيحها هي مدى العلاقة بين خرائط ابن حوقل وما يعرف بالخرائط الساسانية أطلس إيران ، فقد ربط كراتشكوفسكي بين خرائط ابن حوقـل وهذه الخرائط التي رسمت للإمبراطورية الإيرانية القديمة، أما التي اتضح من خـلال دراسة هذه الخرائط أنه لا علاقة بها، حيث إنها شملت جميع أقاليم الإسلام بما فـيها المقاطعـات الإيرانية لأن هذا كان اتجاه الدراسات الجغرافية العربية في القرن الرابع الهجري.

كمـا أوصلت هذه الدراسة الدول الإسلامية ببعضها وأزالت الحواجز السياسية بسـبب وحـدة الدين، واتساع النشاط التجاري، وطلب العلم والحج ، ووجود ميراث علمي قديم يعتبر الأساس لبناء الفكر الجغرافي العربي مثل كتاب صورة الأرض ، أما بشأن كثرة التفاصيل عن بلدان المشرق الإسلامي في خرائط ابن حوقل فهذا يرجع إلى كونه من هذه المناطق وأكثر دراية بأحوالها.

الأمر الآخر هو أن ابن حوقل جعل النص شارحاً للخريطة أي أن الأساس هو الخرائط والصور مختلفاً في ذلك عن البلخي الذي أرسى أهم مبادئ الجغرافيا الإقليمية ، وهـي إقـران المعلومـات الجغرافـية بالخريطة وجعل المصورات أساساً للشرح الجغرافـي [٧٣] ، أي أنه اعتمد في توزيع المادة الجغرافية اعتماداً تاماً على الخرائط مثل دراسته لإفريقيا وأسبانيا.

ومـما يلاحـظ أيضاً عل الخرائط التي رسمها ابن حوقل تنوع المقاييس التي علـى أساسـها قُـدِّرت المسافات والمساحات، منها الساعة والميل والفرسخ والمنزلة والمـرحلة واليوم والليلة، واختلاف هذه المقاييس مرتبط باختلاف الطبيعة الجغرافية للبلاد، والمقياس هنا تقديري وليس بالمفهوم الحالـي، ولكن استخدامه أوجد نسبـة

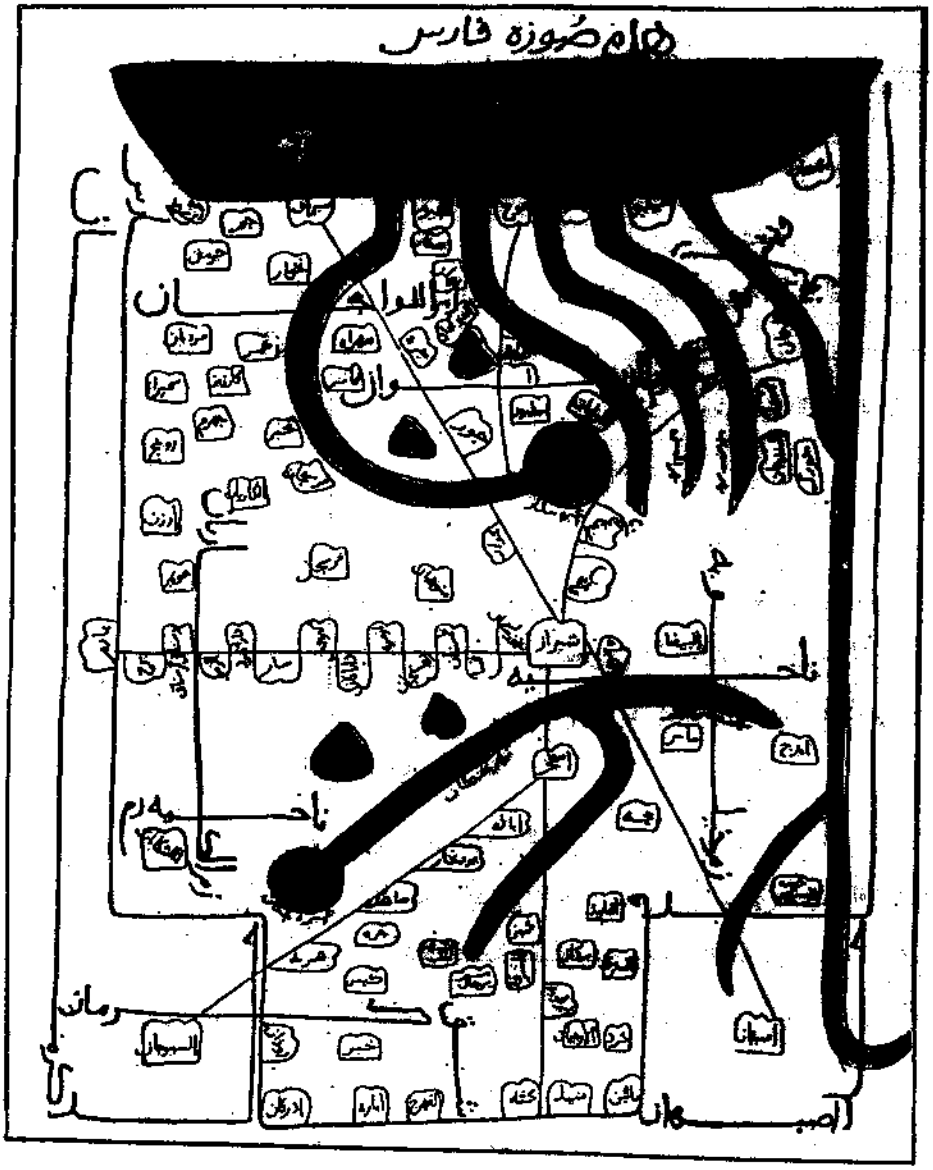

شكل (١٣) صورة فارس

وتناسب في تقدير المسافات والمساحات مثل الطول والعرض والحجم للظاهرة، ومن أجل ذلك غلب على هذه الخرائط الطابع الهندسي، فرسمت الطرق على هيئة خطوط مستقيمة، كما رسمت المدن على هيئة دوائر، ورسمت الظاهرات الجغرافية عليها كسمة أو حدود للأقاليم الجغرافية مثل بحر فارس وبحر الروم، فصارت هذه الخرائط تفصيلية لظاهرات طبيعية وبشرية بالإضافة إلى كونها خرائط إقليمية [٧٤]. شكل (١٤)

وعلى الرغم من أن هذه الخرائط تفصيلية إلا أن ابن حوقل بَعُد عن كثرة التفاصيل، إما للتشابه فيما بينها ، أو لأن ذلك سوف يقلل من دقة الخرائط، والدقة في تحديد المواقع والمواضع، وهذا ما قاله عند تصويره لبلاد فارس: "وقد صورت فارس بحدودها، ولم آت فيها برستاق لانتشار ذلك وكثرته، ولا الجبال لأنه ليس بفارس بلد إلا وبه جبل أو يكون الجبل بحيث تراه إلا اليسير، ولم أصور إلا مدينة لها منبر مذكور مشهور، وقد تحريت واجتهدت في هذه الرسالة فيما يعلم من قرأها مع موقع كل كورة برساتيقها ومواضع المدن بها " [٧٥].

واتضح أيضاً من خلال دراسة كتاب **صورة الأرض** أن ابن حوقل صريح في إثبات ما يصف على التقريب دون الحقيقة، مثل تصويره **للبحر المتوسط** فقال : " هو خليج من البحر المحيط عليه أكثر هذه الديار ، وقد أثبت به على التقريب لا على الحقيقة؛ إذ بعضه أشبه شيء بالدائرة المحدودة .. وإن كنت سقته على ما أثبت به من الاستطالة في صورة المغرب فهو من الاستدارة على هذا الشكل " [٧٦].

وخلاصة الأمر بالرغم من أن خرائط ابن حوقل عبارة عن خطوط هندسية ينقصها كل ما يجعل للخريطة معنى، إلا أنها أصلية مبتكرة [٧٧] . وتمثل أوج ما بلغته الكارتوجرافيا العربية في العصور الوسطى وحتى القرن العاشر الميلادي، كما أنها تمثل المرحلة الثانية من مراحل تطور الكارتوجرافيا العربية، فالأولى تمثلها الخرائط المأمونية، والثانية الإقليمية والتي يمثلها ابن حوقل، ثم المرحلة الثالثة والتي يمثلها الشريف الإدريسي [أطلس العالم] .

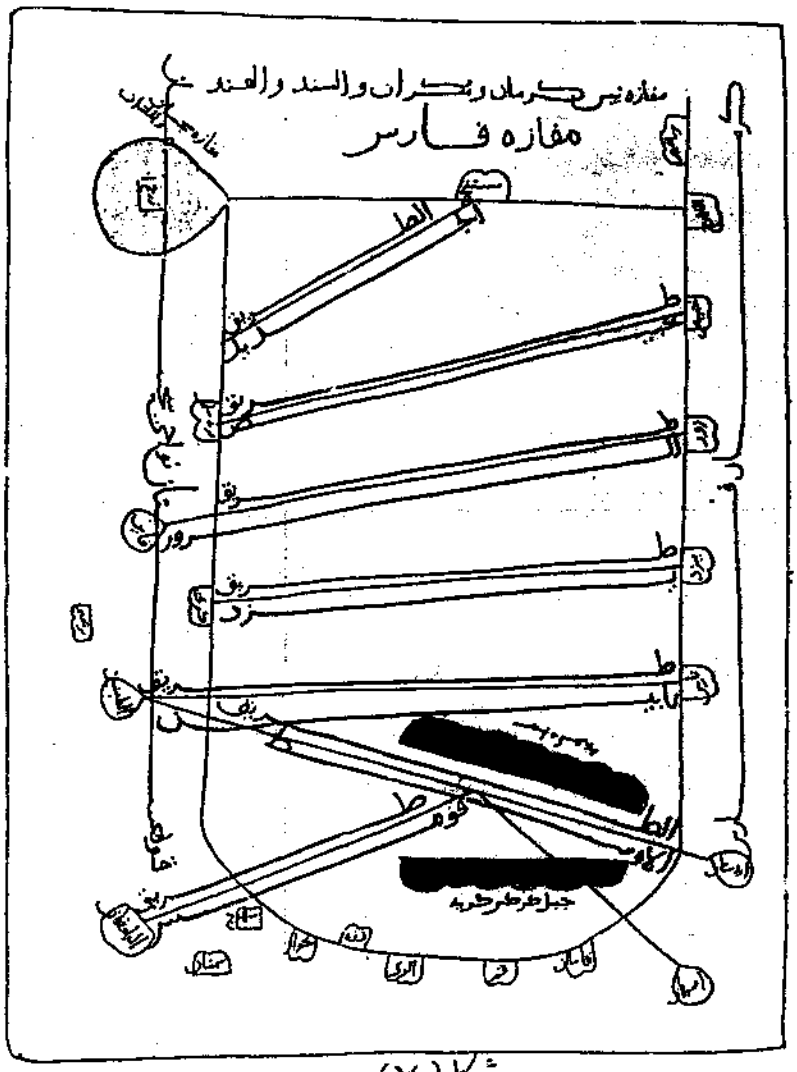

شكل (١٤)

مفازة خراسان وفارس

وهـــذا يعني أن خرائط ابن حوقل تمثله حلقة مهمة في سلسلة تطور الخرائط العربية والعالمية ، ولا يمكن إغفالها عند دراسة تطور الكاتوجرافيا العربية والعالمية ، وكذلك دراسة تطور الفكر الجغرافي العربي.

الخاتمة

لقد اتضح من استعراض كتاب [صورة الأرض] أنه يجسد الجغرافيا الإقليمية العربية حتى النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي، والتي صارت اتجاهاً جغرافياً عند العرب في العصور الوسطى، بل وتمثل أهم الإضافات الجغرافية العربية إلى علم الجغرافيا القديم، لاشتمالها على مادة غزيرة عن بلدان العالم القديم ذات جوانب متعددة، فضلاً عن المعرفة الجغرافية البحتة بجهات لم تكن معلومة ولم تذكر من قبل كجهات غربي وأواسط إفريقيا وأواسط آسيا وجزر البحر المتوسط وشبه جزيرة أيبيريا .

كما أكّد هذا الكتاب أن ابن حوقل من روّاد الجغرافيا العربية، وخاصة الجغرافيا الإقليمية، بل يعتبر من المجددين في هذا المجال، بالإضافة إلى منهجه القويم الذي يعتبر الخريطة جزءاً لا يتجزأ من النص، بل أنه اعتبر النص شارحاً للخريطة فصارت أساس العمل الجغرافي، بالإضافة إلى رصد ما حدث من تغير في المنظر الطبيعي **Natural Landscape** ، في كثير من أقطار العالم الإسلامي، وإبراز العلاقة بين البشر وبيئتهم الطبيعية في هذه الآونة ، كما أنه أظهر التباين المكاني والاختلاف الإقليمي **Areal Differentiotion** الذي تبناه هارتشيورن في العصر الحديث (٧٨) .

واتضح كذلك أن ابن حوقل تعمق في وصف الأقاليم مما يدل على اتساع مداركه الجغرافية نتيجة لاتساع قاعدة المعرفة لديه من خلال الزيارات الميدانية والرحلات التي دامت أكثر من ثلاثين عاماً، والتي انعكست كذلك على العالم المعروف لدى ابن حوقل والذي كان أكثر اتساعاً من عالم بطليموس ، إذ إن الجزء من الأرض في عهد الأول قد امتد من مراكش غرباً إلى الصين شرقاً .

كما تبيّن من هذه الدراسة أن كتاب صورة الأرض من أول المؤلفات الجغرافية التي استخدمت المقاطعات كأساس للدراسة الإقليمية بدلاً من استخدام خطوط الطول ودوائر العرض ، الأمر الذي ساعد على تطوير طريقة الشرح الجغرافي، هذا وقد ترك ابن حوقل كثيراً من المعلومات الجغرافية الطبيعية والبشرية المفيدة عن بلدان العالم الإسلامي خلال القرن العاشر الميلادي والتي عرضها بدقة وتفصيل.

الحقيقة الأخرى التي يجب ذكرها هي مساهمة ابن حوقل – مؤلف هذا الكتاب– في تعديل ما يخص مصر وإفريقيا وأسبانيا وصقلية مستعيناً في ذلك بما جمعه من مادة علمية من خلال رحلاته الميدانية ، كما أنه أجرى تعديلاً أساسياً في أقسام كل من العراق وأرمينيا وما وراء النهر. ومما يؤكد ذلك ما جاء في الخرائط التي أوردها لهذه الأقاليم، وذكر الكثير من التفاصيل الجغرافية التي امتدت في بعض الأحيان خارج نطاق العالم الإسلامي، حتى وصلت إلى الصين شرقاً.

كما تبيّن للباحث من هذه الدراسة حقيقة مهمة وهي أن ابن حوقل لم يكن جاسوساً أو داعياً للأمويين أو الفاطميين كما زعم كراتشوفسكي ، مستدلاً على ذلك بكثرة ما ورد في مجال التجارة والسياسة، وخاصة ما ذكره عن بلاد الأندلس وحديثه المفصل عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات التجارية مع مصر والمغرب، ووصفه لسكان الأندلس بشكل سلبي كما يظهر في قوله : " إنهم صغيري الإسلام وضعاف النفوس ونقص العقول، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال .. " (٧٩) . وهنا تصور كراتشكوفسكي أن ابن حوقل أوعز للفاطميين أو العباسيين بالتدخل واحتلال الأندلس، وتعجبه من استقلال هذه البلاد رغم ضعفها حربياً وإدارياً ، مستعيناً بقوله : " ليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها " (٨٠) .

ويمكن أن نفسر ذلك بأن ابن حوقل اهتم بتبصير الإداريين وعمال الدواوين بأهمية هذه المناطق التي تمثل أطراف العالم الإسلامي ومناطق الاحتكاك الديني

والثقافي مع دول وحضارات أخرى متربصة لها، كما أنه اهتم في دراسته بوصف شبكة الطرق وبيان حدود الولايات الإسلامية على اختلاف مواقعها، بالإضافة إلى أنه كان شديد الحب لأمته الإسلامية ، وداعياً للجهاد والحفاظ على أرض الإسلام، وخاصة هذه المنطقة المهمة استراتيجياً للدولة الإسلامية وهي الأندلس، ووصفه لحالها السيئ إنذار لحكام المسلمين بتأمينها وتقوية جيوشها، وهذا ليس دليلاً على جاسوسيته، كما وصفه البعض.

الدليل الآخر أنه كان مهتماً بدراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لسكان البلدان الإسلامية وليست الأندلس فحسب، وهذه صفة تميزت بها دراسة ابن حوقل الإقليمية، ويعني أيضاً غلبة الجغرافيا البشرية في هذا الكتاب، وتبرز صفة مهمة للدراسات الجغرافية العربية وهي خدمتها للأغراض الإدارية والسياسية والاقتصادية وخاصة في مجال التجارة.

أما بشأن الخرائط فقد تبين من هذه الدراسة أن الخريطة صارت أساس العمل الجغرافي، وباتت بديلة عن التفاصيل الكثيرة التي يمكن أن ترد في النص، وهذا ما يُتبع في الدراسات الجغرافية حالياً، بالإضافة إلى منطقه في ترتيب الخرائط، فبدأ خرائطه بخريطة للعالم التي كان معروفاً آنذاك، وتأكيد فكرة كروية الأرض من خلالها، ثم انتقل إلى عرض الخرائط الإقليمية طبقاً لتقسيمه لها، وهنا يتضح النضج الفكري لأنه أراد أن يوضح للقارئ الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي وشكل العالم وما يشمل من بحار ومحيطات وأنهار وجبال ومراكز عمران وطرق .. إلخ .

كما أبرزت هذه الخرائط العلاقات المكانية للأقاليم وما تضم من بلدان، وهذه خاصية برزت بوضوح في كتاب صورة الأرض ، وتميزت أيضاً هذه الخرائط باستقلالها التام في التصور العام والتنفيذ مما جعل ابن حوقل من رواد المدرسة المجددة في مجال رسم الخرائط والتي وصلت أوجها على يد الشريف الإدريسي صاحب أول أطلس للعالم .

وعلى الرغم من الإيجابيات العديدة التي ظهرت من خلال تحليل كتاب صورة الأرض إلا أن هناك بعض السلبيات التي يجب أيضاً توضيحها، أهمها عدم اهتمام ابن حوقل بذكر الأرقام التي تمثل عدد السكان وكمية الإنتاج أو مساحة الأرض، واهتمامه بدراسة المدن أكثر من اهتمامه بالقرى، وحرصه في بعض الأحيان على ذكر الأمور الغريبة والخرافات الشائعة مما قد يشتت فكر القارئ ، كما ذكر عن ظاهرة انتشار القرود في اليمن .

الأمر الآخر هو تجاهل ابن حوقل للعوامل الوراثية عند دراسته للسكان، وخاصة في حديثه عن لون البشرة كظاهرة مميزة لسكان الأقاليم، حيث ربط اختلافها بالمناخ وخاصة درجة الحرارة، في الوقت الذي رفض فيه المناخ كأساس للتقسيم الإقليمي للعالم الإسلامي، وفي هذا تناقض واضح في آرائه، وإشارة لاعتناقه مبدأ الحتم البيئي.

وفي الوقت الذي مثلت فيه الخريطة أهم وسيلة لإيضاح في هذه الدراسة الإقليمية ، فقد حملت بعض الأخطاء التي لا يمكن إغفالها ، أهمها فيما يتصل برسم القارات وخاصة قارة إفريقيا بالإضافة إلى عدم التناسب بين مساحة اليابس والبحار الداخلية والخلجان خاصة الخليج الفارسي وبحر قزوين ، والإخفاق في رسم سواحل الشرق الأقصى وشمال أوراسيا وجنوب إفريقية وتصوير الأنهار، وعدم القدرة على توضيح مظاهر السطح إلا بتلك الخطوط العريضة الملتوية التي تبين السلاسل الجبلية، ورغم هذا القصور إلا أنها ابتكار جغرافي عربي، صارت الأساس فيما بعد للكارتوجرافيا في العالم .

ومن ثمّ صار كتاب صورة الأرض دليلاً على اتجاه جغرافي عربي وهو الجغرافيا الإقليمية، وحلقة في سلسلة تطور الجغرافيا العربية والخرائط، وهذا الكتاب ومؤلفه لا يمكن تجاهلهما عند دراسة الفكر الجغرافي العربي والعالمي على مر العصور وحتى اليوم، حيث لا يمكن تجاهل الماضي عند دراسة الحاضر ورسم المستقبل .

الهوامش

١- نفيس احمد : جهود الجغرافيين المسلمين في الجغرافيا ، ترجمة فتحي عثمان ، دار القلم ، [د.ت] ، ص ١٥ .

٢- محمد محمود الصياد : من الوجهة الجغرافية: دراسة في التراث العربي، بيروت، ١٩٧١م ، ص ١١ .

٣- للمزيد انظر : محمد محمد زهرة : بعض قضايا المنهج في الجغرافيا، المجلة الجغرافية العربية، عدد [٣٢] ، جـ ٢ ، ١٩٩٨م ، ص٧٨ .

٤- أغناطيوس يوليانفتس كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، جـ١ ، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٢م ، ص ٢٢٩ .

٥- جمال حمدان : نحو مدرسة عربية في الجغرافيا، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية، العدد الأول، ديسمبر ١٩٦٤م ، ص ١ .

٦- أول الكتب العربية " كتاب الأقاليم " الذي كتبه هشام الكلبي [ت ٢٠٦هـ/ ٨٢٠م] ، وكتاب [صورة الأقاليم] للبلخي في القرن الرابع الهجري، بداية القرن العاشر الميلادي، وكتاب أحسن التقاسيم في نهاية القرن العاشر الميلادي . انظر : كراتشوفسكي ، جـ١ ، مرجع سابق، ص ١٢٦ .

٧- مصطفى محمود سليمان: تاريخ العلم والتكنولوجيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م ، ص ٣٤٤ .

٨- نقولا زياده : الرحالة العرب، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٦م ، ص ٣٧.

٩- شاكر خصباك: الجغرافيا عند العرب، المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٤٥ .

١٠- تـم نسـخ هذا الكتاب عام ٤٧٩هـ، قام بنسخه علي بن محمد بن بندار، كما طـبع هذا الكتاب مرتين في ليدن بروما، في المرة الأولى نشر باسم [الممالك والممالك]،ثم حسنت هذه الطبعة ونشرت بعنوان صورة الأرض.

١١- مـثل الـزيج المأمونـي الممتحـن الذي وضعه فلكي عصر المأمون والزيج الصابيء.

١٢- اغناطيوس يوليانفتس كراتشكوفسكي ، مرجع سابق، ج١، ص١٢٦ .

١٣- كـرلو نليـنو : علـم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، مطبعة روما، ١٩١١م ، ص ١٥٨ .

١٤- هـناك إشـارات مهمة عن جغرافية ابن حوقل جاء بها يسري الجوهري في كـتابه الفكـر الجغرافـي والكشوف الجغرافية، منشأة المعارف، الأسكندرية ١٩٩٤م ، ص ١٢٣ .

١٥- انظـر: محمـد رشيد الفيل، أثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب ، مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية،عدد [٩]، ١٩٧٩م ، ص ١٥ .

- Newton, A (ed) : Travel & Travellers of The Middle Ages, London, 1944.

١٦- للمـزيد انظـر : عـبد العـال الشامي: جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخـرائط، مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية، عدد [٣٦] ، الكويت ١٩٨١م ، ص ٣٢ .

١٧- محمد محمد زهرة : مرجع سابق، ص ٧٠ .

١٨- ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة ، بيروت،١٩٧٩م، ص ١٠ ، ١١ .

١٩- نفس المصدر : ص ١١ .

٢٠- نفس المصدر: ص ٢٨٣ ، ١١ .

٢١- المنطقة الواقعة جنوبي غرب بحر قزوين الذي عُرِف أيضاً ببحر الخزر.

٢٢- ما وراء نهر امودار يا، حيث تقع أوزبكستان .

٢٣- اغناطيوس يوليافنتس كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ج١، ص٢٠٥ .

٢٤- ابـن خـردانبة : هـو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خردانبة ، فارسي الأصل [ت ٢٤٨ هـ = ٨٩٧ / أو عام ٩٢ هـ = ٩٠٥م] .

- قدامـة بن جعفر ، أراميا ، اعتنق الإسلام عام [٢٨٩ هـ = ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م] ، تولى منصب صاحب البريد في عهد الخليفة المكتفي .

- الجيهانـي هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني: مؤلف كتاب [المسـالك فـي معرفة الممالك] أو [المسالك والممالك] ، ت ٩٥٦هـ، انظر: اغناطـيوس كراتشكوفسـكي، مـرجع سابق ، ج١ ص ١٥٦ - ٢٢١. وابن حوقل: مصدر سابق ، ص ٢٨٤ .

٢٥- ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٢٨٣ .

٢٦- نفس المصدر: ص ٤٣ ، ٤٥ .

٢٧- نفس المصدر : ص ٨٨ .

٢٨- نفس المصدر: ص ١٠١ .

٢٩- للمـزيد : انظـر يسـري الجوهـري: الإنسـان وسلالاته، منشأة المعارف، الأسكندرية، ١٩٩٣م ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

٣٠- للمـزيد: محمـد مدحـت جابر: الجغرافيا البشرية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م .

٣١- ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج١، دار إحياء التراث، بيروت،١٩٥٥م، ص٢٥ .

٣٢- محمد محمود محمدين : التراث الجغرافي الإسلامي، ط٢ ، دار العلوم ، الرياض، ١٩٨٤م ، ص ١١٤ .

٣٣- ابن حوقل: مصدر سابق، ص ١٠ .

٣٤- للمزيد انظر: محمد محمود محمدين: المرجع السابق ، ص ص ١١٨ – ١٢٧ ، وعبد الفتاح محمد وهيبة: مجلة الجمعية الجغرافية المصرية، المحاضرات العامة، الموسم الثقافي، ١٩٦٠م ، ص ص ٤٤ – ٧٥ . وياقوت الحموي: مصدر سابق ، ج٢ ص٤٠٠ ، القاهرة ١٩٦١م ، المقدسي [شمس الدين أبو عبد الله محمد] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة دي خويه ، ليدن ١٩٠٦م . والأصطخري [أبو إسحاق إبراهيم محمد] : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد جابر عبد العال، القاهرة، ١٩٦١م .

٣٥- ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ١٥ .

٣٦- عبد المنعم ماجد : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، جـ٢ ، خريطة ٧ ، ١٦ .

٣٧- ابن حوقل: مصدر سابق، ص ٦٤ .

٣٨- نفس المصدر : ص ١١ .

٣٩- نفس المصدر : ص ١٥ .

٤٠- نفس المصدر : ص ١٥ .

٤١- نفس المصدر : ص ١٢٦ .

٤٢- نفس المصدر : ص ٢٢٥ .

٤٣- نفس المصدر : ص ٤٥ .

٤٤- محمد محمود محمدين : مرجع سابق، ص ٣٩٨ .

٤٥- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٤٦ .

٤٦- عبد العال الشامي: مرجع سابق، ص ٣٨ .

٤٧- اغناطيوس كراتشكوفسكي: مرجع سابق ، ص ١٩٨ . وشاكر حضباك ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

٤٨- ابن حوقل النصيبي: مصدر سابق، ص ٣٩ .

٤٩- محمود محمد عبد اللطيف عصفور: جغرافية إقليمية إفريقيا، مطابع الهلال، القاهرة ١٩٨٨م ، ص ٤٧ .

٥٠- للمزيد انظر: الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ليدن، ١٨٩٤م .

٥١- ابن حوقل: مصدر سابق ، ص ١٣٩ .

٥٢- نفس المصدر : ص ١٥٤ .

٥٣- نفس المصدر : ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

٥٤- نفس المصدر : ص ٤٣ .

٥٥- نفس المصدر : ص ص٢٥٠ ، ٢٥٤ .

٥٦- نفس المصدر : ص ٢٥٠ .

٥٧- نفس المصدر : ص ٦٤ .

٥٨- نفس المصدر : ص ٢٩٨ .

٥٩- عبد المنعم ماجد : مرجع سابق، خريطة ١٣ .

٦٠- ابن حوقل: المصدر السابق ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

٦١- نفس المصدر : ص ص ٣٢ – ١١٠ .

٦٢- للمزيد :

- James, P.E. & Jones, C.F. [Ed], American Geography inventary and prospect, Syracuse, 1954. P.6 .

- هارتشهورن : نظرة في طبيعة الجغرافيا، ترجمة عبد العزيز آل الشيخ، دار المريخ ، الرياض، ١٩٨٨م ، ص ٥٩ .

- محمد محمد زدرة: مرجع سابق ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

٦٣- شاكر حضاك : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

٦٤- نفس المرجع : ص ص ٦٥ ، ٦٧ .

٦٥- ابن حوقل: مصدر سابق ، ص ١٥ .

٦٦- عبد العال الشامي : مرجع سابق، ص ١٣ .

٦٧- ابن حوقل: مصدر سابق، ص ١٥ .

٦٨- عبد العال الشامي: مرجع سابق، ص ٣٩ .

٦٩- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٢٢٤ ، ٢٨٣ .

- عبد العال الشامي: المرجع السابق، ص ٤٢ .

٧٠- ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٢٢ .

٧١- اغناطيوس كراتشكوفسكي : مرجع سابق ، ج١، ص٢٠٦ .

٧٢- الدوميلي: العلم عند العرب وأثره في تطوير العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢م ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣.

- شاكر حضباك : مرجع سابق ، ص ٦٦ .

٧٣- نفس المرجع : ص ٦٧ .

٧٤- عبد العال الشامي : مرجع سابق، ص ٦٦ ، ٦٧ .

٧٥- ابن حوقل: مصدر سابق ، ص ٢٣٥ .

- الأصطخري: مصدر سابق، ص ٦٧ .

٧٦- ابن حوقل: مصدر سابق، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

- انظر شكل (٢) .

٧٧- Schoy,C., The geography of the Muslems of M.Ages, Geog., Rev, 14, 1924, PP. 257-269 .

- عبد الفتاح وهيبة: مرجع سابق، ص ٧٢ .

٧٨- محمد محمد زهرة : مرجع سابق، ص ٩٧ .

٧٩- ابن حوقل: مصدر سابق، ص ١٠٥ .

٨٠- نفس المصدر : ص ١٠٨ .